

عَلَامَةُ جَامِعِ

كِتَابٌ وَجِيزٌ يُعْنَى عَنْ عَلِيٍّ الْأَمَامِ وَكَيْفِيَّتِهِ
عَنْ طُرُقِي الْعَقْلِ وَالنِّقْلِ



لِلْعَلَمَةِ الشَّيخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
الْمَدِينِيِّ (١٩١٣-١٩٩٠ هـ)

مُحَقِّقٌ
أَحْمَدُ بْنُ كَاسِمٍ الْبَغْدَادِي

علم الإمام

كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميته وكيفيته عن
طريقي العقل والنقل

للعلامة الشيخ محمد الحسين المظفر رحمته الله

المتوفى سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م

تحقيق:

أحمد بن كاظم البغدادي

مظفر، محمد حسين، ١٣١٢ - ١٣٨١ ق.
علم الامام: كتاب وجيز يبحث عن علم الامام وكميته وكيفيته عن طريق العقل
والنقل / لمحمد الحسين المظفر؛ تحقيق احمد بن كاظم البغدادي. -
قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٣١ ق. = ١٣٨٩.
١٤٤ ص.

ESBN ٩٧٨ - ٩٦٤ - ٥٠٣ - ١٩٨ - ٣ ريال: ٥٠٠٠٠

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
کتابنامه: ص ١٣٥ - ١٣٧؛ همچنین به صورت زیرنویس.
١. علم امام. ٢. علم امام - احادیث. الف. بغدادی، احمد کاظم، محقق. ب.
عنوان.

٢٩٧/٤٥

BP ٢٣٣/٣٤ / م٦ ع٨
١٣٨٩

هوية الكتاب

الكتاب: علم الامام

المؤلف: العلامة الشيخ محمد الحسين المظفر

الناشر: المكتبة الحيدرية

المطبعة: شريعت

الطبعة: الاولى ١٤٣١ - ١٣٨٩ هـ

العدد: ١٠٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ١٤٤ صفحة وزيري

السعر: ٥٠٠٠ تومان

ردمك الكتاب: ٣ - ١٩٨ - ٥٠٣ - ٩٦٤ - ٩٧٨

قال الامام الصادق عليه السلام:

«لَوْ كُنْتُ بَيْنَ مُوسَى وَالْخِضْرِ، لَأَخْبَرْتُهُمَا أَنِّي أَعْلَمُ وَلَأُنَبِّئُهُمَا مَا لَيْسَ فِي أَيْدِيهِمَا، لِأَنَّ مُوسَى وَالْخِضَرَ أُعْطِيا عِلْمَ مَا كَانَ وَلَمْ يُعْطِيا عِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أُعْطِيَ عِلْمَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَوَرِّثَاهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرِاثَةً».

بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١١١.

الإهداء

الى سيدي ومولاي صاحب الزمان عليه آلاف الصلاة والتحية والسلام.
ارفع ثواب عملي هذا سائلاً المولى جل وعلا أن يستقبل هذا الجهد الضئيل
ويجعله ذخراً يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إنه سميع الدعاء..
كما أهدي ثواب عملي الى اخوتي الذين فقدتهم وأنا بأمرس الحجة لهم رضا
وصلاح وقاسم، اللهم ادخل بعملي المتواضع هذا على أرواحهم السرور .

أحمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه محمد ﷺ وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وبعد:

قال الله تعالى: ﴿أَفْرَأَ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(١). بهذا النداء الإلهي أفتتحت الشريعة الخاتمة مشروعها مع الإنسان على يد الرسول الخاتم حبيب إله العالمين ﷺ والقراءة رمز للعلم والمعرفة، ومنها يعلم أهمية العلم في نظر الدين منذ انطلاقة الأولى. إلا أن العلوم ليست مرتبة واحدة، بل تتفاوت شرفاً وفضلاً وأهمية لتفاوت موضوعها المبحوث عنه وموقعيته بالنسبة إلى الإنسان وعلى هذا الأساس يأتي علم الكلام في رتبة الصدارة في سلم الهرم العلمي ويتربع على قمته، وسببه يظهر من خلال هذه الوقفة السريعة مع تعريفه واستعراض.

بعض فوائده:

قال القاضي عضد الدين الايجي (الكلام علم يقدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبهة)، ثم قال: (وفائده أمور:

الأول: الترقى من حضيض التقليد الى ذروة الايقان.

الثاني: ارشاد المسترشدين بايضاح المحجة، والزام المعاندين باقامة الحجة.

الثالث: حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين.

الرابع: أن يبني عليه العلوم الشرعية فإن أساسها.

الخامس: صفة النية والاعتقاد؛ إذ به يرجى قبول العمل.

وغاية ذلك كله؛ الفوز بسعادة الدارين)^(١).

منهجية التحقيق:

إن المنهجية لتحقيق هذا السفر القيم تتلخص في أمور:

- ١ - تخريج مصادر الكتاب.
- ٢ - تحديد الآيات القرآنية وترتيبها بالشكل البارز عن متن الكتاب، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٣ - الإشارة على بعض الكلمات الغامضة الواردة في الكتاب مع التعليق عليها.
- ٤ - تصحيح ما ورد من أخطاء مطبعية في متن الكتاب.
- ٥ - ذكر الأدلة التي أشار إليها المصنّف ولم يذكرها وفي بعض الأحيان المصنّف

(١) المواقف ١: ٣١، ٤٠ - ٤١ باختصار.

يذكر الدليل من أحاديث طويلة أو خطب فحاولنا ذكرها كاملة.
في الختام نسأل الله تبارك وتعالى التوفيق للمزيد من بذل الجهد في سبيل
إحياء كلمته العليا وأن يأخذ بأيدينا لما فيه صلاح الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب.

احمد

ترجمة الشيخ المظفر

١- نسبه

هو أبو أمين^(١)، الشيخ محمد حسين بن الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مظفر، «من أعلام آل المظفر... وأحد علماء العصر في النجف الأشرف»^(٢).

كان والده الفقيه «الشيخ محمد» المولود سنة ١٢٥٦ والمتوفي في مستهل ربيع الأول سنة ١٣٢٢: من الفقهاء المرموقين المعروفين بسعة الاطلاع والتحقيق، ظهر كمرجع للتقليد بعد وفاة أستاذه الإمام الفقيه الشيخ محمد حسين الكاظمي (١٣٠٧) الذي لازمه كثيراً واستقل في أواخر أيامه بالبحث والتدريس.

(١) له من الأبناء أربعة بالإضافة إلى أمين، وهم: سعيد وزكي وأزهر وزيد، وله من البنات ثلاث.

(٢) من كتاب أعلام الشيعة، القسم الثاني من الجزء الأول، وهو (نقاء البشر في القرن الرابع عشر) تأليف الشيخ آغا بزرگ طهراني (مؤلف الذريعة إلى تصانيف الشيعة).

٢- ولادته ووفاته

ذكر المؤرّخ الكبير الشيخ آقا بزرك في كتابه «أعلام الشيعة» «ولد في عام ١٣١٢هـ) وتوفي والده في الخامس من ربيع الأول عام (١٣٢٢هـ) فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي المظفر وقام بتربيته أحسن قيام حتّى أن الأب قلما يقوم بمثلها». كما ذكر الشيخ جعفر باقر آل محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها ما يلي: «ولد سنة (١٣١٢هـ) في اليوم الخامس من شوال، وهو شقيق الشيخ محمد حسن وأحد الأفاضل من هذه الأسرة العلميّة الأدبيّة، ومات والده وهو ابن تسع سنين وأشهر فقام بكفالاته وتربيته أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي فكفله بحنان وعطف ورّاء تربية علميّة حسنة وغذاء الفضل والأدب والأخلاق الفاضلة بأحسن الأساليب وأنجع الطرق»^(١).

٣- أسرته

أسرة المظفر من الأسر العلميّة في النجف الأشرف، عُرفت في أواسط القرن الثاني عشر الهجري وقطن بعض رجالها (الجزائر) في محافظة البصرة، ويقطن معظم رجالها حالياً في النجف والبصرة وكربلاء بالإضافة إلى بغداد.

ورد ذكرها في الجزء الثالث من كتاب ماضي النجف وحاضرها لمؤلّفه الشيخ جعفر محبوبة (ص ٣٦٠) كما يلي: (من أسر العلم النجفيّة ونبعة من نبعات الأدب، عُرفت في النجف في أواسط القرن الثاني عشر وقطن بعض رجالها الجزائر فعُرف

(١) كتاب ماضي النجف وحاضرها، تأليف الشيخ جعفر باقر آل محبوبة الجزء الثالث، ويبحث عن تاريخ البيوت والأسر العلميّة والأدبيّة النجفيّة غير العلويّة (ص ٣٧) مطبعة النعمان - النجف (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

بالانتساب إليها وضاع لقبه الأصلي، وهي كثيرة العدد منتشرة في محلات النجف، كما أنها موزعة في كثير من بلدان العراق وكثير منها في الجزائر، ولها بها المكانة السامية والشأن المرموق بعين التبجيل والاحترام، وهم قادة تلك الأنحاء وهُداتهم وأئمة محاربهم وأرباب فتاواهم، عنهم يأخذون مسائل الدين والسنن والآداب!! وهي سلالة علمية يانع فضلها في مرابع العلم ونما غرسها في حقل الفضل والكمال».

٤ - مشايخه في العلم

نشأ الشيخ المظفر في البيئة النجفية، ومجالسها وندواتها وحلقاتها ومحاضراتها ومدارسها، وحضر فيها حلقات الدراسة وتخرج على كبار مراجع التقليد والتدريس وترعرع في هذا البيت العريق من بيوتات النجف العلمية. قرأ علوم العربية ثم أخذ بعض المقدمات عن السيد موسى الجصاني ونظم الشعر منذ ذلك الحين فأجاد فيه وأبدع، وقرأ كتب السطوح على أخيه الحجة المغفور له الشيخ محمد حسن، وبعد الفراغ منها حضر في الخارج على الميرزا محمد حسين النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي والسيد أبي الحسن الأصفهاني وأخيه الشيخ محمد حسن حتى بلغ درجة سامية في الفقه والأصول والتاريخ والأدب وغيرها، وولع بالتأليف فطرق مواضيع مهمة وأنتج آثاراً جليلة...^(١). لم يتأكد لدينا متى نال درجة الاجتهاد ونحن بصدد البحث في ذلك .

(١) معجم المؤلفين، تراجم مصنفی الكتب العربیة، تألیف عمر رضا کحالة، ط الترقی

٥- آثاره العلميّة

أ- آثاره المطبوعة في حياته :

- ١- تاريخ الشيعة (النجف ١٣٦١ هـ وعدّة طبعات أخرى).
- ٢- الإمام الصادق عليه السلام - بجزئين (النجف ١٣٩٠ هـ وعدّة طبعات أخرى).
- ٣- ميثم التمار (الكتاب والعتره) - ترجم إلى الفارسيّة (النجف ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٧ م).
- ٥- الشيعة والإمامة (النجف ١٣٩٥ هـ وطبعات لاحقة).
- ٦- تحقيق كتاب (الألفين) للعلامة الحلّي وتعليقات طبعت على هوامشه (النجف ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م، قدّم له الشيخ أحمد الوائلي).
- ٧- الشعار الحسيني (بغداد ١٣٤٧ هـ).
- ٨- الفرحة الإنسيّة في شرح النفحة القدسيّة (النجف ١٣٤٥ هـ).
- ٩- نماذج من شعره (النجف ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م).
- ب- آثاره المطبوعة بعد وفاته :
- ١٠- مؤمن الطاق (أبو جعفر محمّد بن النعمان - النجف ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).
- ١١- الإسلام نشوؤه وارتقاؤه (النجف ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).
- ١٢- علم الإمام (النجف ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) ترجم الى الفارسية.
- ج- آثاره غير المطبوعة :
- ١٣- الشيعة وسلسلة عصورها.
- ١٤- هشام بن الحكم .
- ١٥- دعاء الصادق عليه السلام أو الصحيفة والصادقية.
- ١٦- الآيات الثلاث (التطهير والولاء و...).
- ١٧- الأوصياء.
- ١٨- القرآن تعليمه وإرشاده.

- ١٩- موجز حياة الرسول الأعظم ﷺ .
- ٢٠- موجز علم الكلام .
- ٢١- كتاب الصلاة من تذكرة المعلمين في شرح تبصرة المتعلمين.
- ٢٢- دعوة النبي ﷺ والمكاند.
- ٢٣- العترة أوصياء الرسول ﷺ (الأنمة الاثنى عشر هم الأوصياء).
- ٢٤- ديوان شعر.

د- مقالاته

- يشير الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها إلى أنَّ للشيخ المظفر مقالات ضافية في شتى المواضيع، نشر كثير منها في المجلات منها:
- ١- نقد كلمة النشاشيبي عن اللغة العربية وكان فيها وخزات للشيعة منها إنكار نسبة نهج البلاغة إلى الأميرعليه السلام .
 - ٢- له كلمات لم تنشر^(١) في الأخلاق مثل الحسد والحقد والعجب والتكبر والبغض، بيان وإف.
 - ٣- وله مقالة في - مافات القاموس من كلمات ذكرها في غير موضعها وأهمها في مادتها.

٦- الشيخ المظفر إجازة الرواية

أشار المؤرخ الشيخ آغا بزرك الطهراني في كتابه (أعلام الشيعة) إلى أنَّ السيد

(١) وجدت منشورة في مجلة (الهدى) الشهرية، مقالة متسلسلة في عشرة أجزاء ولها تكملة لم تنشر، صدرت عام (١٣٤٩هـ - ١٩٣١م).

عبد الحسين شرف الدّين، صاحب كتاب (المراجعات) و (النص والاجتهاد) الشهيرين قد أجاز له الرواية كتباً عنه... وذلك بالإضافة إلى إجازة الرواية من قبل الشيخ المؤرّخ نفسه^(١).

٧- الشيخ المظفر وجمعية منتدى النشر

لا شك أنّ ممّا لا يجهله جمهور القراء المتتبّعون ما لجمعية منتدى النشر الدينيّة من دور كبير في النشاط الإسلامي والنهضة الدينيّة والفكريّة في النجف الأشرف، وكذا ما للفقيه الشيخ محمّد رضا المظفر من دور كبير في تأسيس تلك الحركة الإصلاحية وصموده واستمراره بعد أن انفرط عقد المحيطين به، وكذلك تأسيس كلّية الفقه ومالها من دور في منهجيّة الدراسات الفقهيّة، (تلك المؤسسة التي قامت على عاتقه، وأودعها حياته وشيّد بها بحبات قلبه، وبذل في سبيلها جميع إمكانيّاته)^(٢).

ولكن ما يجهله الكثير من القراء المعاصرين هو دور الفقيه الشيخ محمّد حسين المظفر - المترجم له - في تلك الحركة الإصلاحية وفي تأسيس ونشاط جمعية منتدى النشر، حيث كان قد سبق أخاه الشيخ محمّد رضا - رَحِمَهُمُ اللّهُ - بحوالى عقد من الزمان ومعه مجموعة من معاصرين في محاولة استحصال موافقة الجهات الرسميّة في بغداد على تشكيل جمعية منتدى النشر، فلم تحصل الموافقة حينها، وبعد أن نجح الشيخ محمّد رضا مع مجموعة من معاصريه في البداية في تأسيس الجمعية، كان للشيخ محمّد حسين دور كبير في ذلك في نشاطاتها واضح، ولعلّ ما ذكره

(١) أعلام الشيعة للشيخ آغا بزرك الطهراني.

(٢) من مقدّمة كتاب عقائد الإماميّة للشيخ محمّد رضا المظفر.

المؤرخ الكبير الشيخ آغا بزرك في كتابه (أعلام الشيعة) دليل واضح على ذلك حيث يقول:

«وكان له فضل على لجنة المجمع الثقافي الديني لجمعية منتدى النشر التي أسسها أخوه الشيخ محمد رضا الآتي ذكره فقد ساهم في حفلاتها وكانت له محاضرات طيبة وإرشادات وآراء مُصيبة في توجيهها والعناية بها»^(١).

كما يقول الأستاذ علي الخاقاني في (شعراء الغري) بأن الشيخ المظفر شارك في تأسيس جمعية منتدى النشر) واصطدم بمن عارضها، وسهر الليالي في سبيل حراستها وتوجيهها، ولا يزال على هذه الذهنية من خدمة العلم والأدب بالأسلوب الذي يتمشى مع العصر»^(٢).

وكثير من مؤلفاته تمثل محاضرات ألقاها على الجمعية مثل كتاب (الشيعة الإمامية) أو على طلاب كلية الفقه مثل كتاب (الإسلام نشوؤه وارتقاؤه) حيث كان محاضراً لمادة التاريخ الإسلامي فيها.

٨- الشيخ المظفر والشعر

كان الشيخ المظفر يمارس النظم من حين لآخر، وشعره متين ودقيق الدباجة، تلتقي فيه بصور شعرية طريفة، وتجد فيه آفاقاً أدبية جديدة. وكان مُقلّاً في شعره لانصرافه عنه إلى عالم الفكر والتأليف، وقد شهد له كثيرين بذلك. يصفه الشيخ جعفر محبوبية في كتابه ماضي النجف وحاضرها بأنه.. (من الأدباء وأهل النظم مقل في نظمه إذا اقتضت الظروف ومست له الحاجة، هو كاتب ناثر ونثره أقوى من نظمه،

(١) أعلام الشيعة للشيخ آغا بزرك .

(٢) شعراء الغري، الخاقاني: ج ٨ ص ١٩٣.

له لباقة لسان وطاقة وجه والباقة...) (١).

كما ورد في كتاب (شعراء النجف) لمؤلفه الأستاذ عبد الكريم الدجيلي، حيث قال: «لم يتخذ الشعر منهةً له، ولم يستفرغ الوقت لتعاطيه، إنما ينشط أحياناً لنظمه لبعض الدواعي والأغراض وهو في النثر أحسن منه في النظم» (٢).

أما هذا الابتعاد عن النظم والإقلال فيه فله أسباب قد تلخصها حكاية يرويها بعض أفراد أسرته صادفته في مستقبل عمره، حيث كان مقبلاً على أحد المجالس في النجف فاستسهله أحد أصدقائه مرحباً وقائلاً: «أهلاً بالشيخ الشاعر»، فترك هذا النص في استقباله الأثر السلبي لديه، فالشيخ المظفر جاد في اتجاهاته الفكرية ولا يؤثر تلقيه بالشاعر. ولعل هذه المعاناة كانت تمثل ظاهرة واضحة في تلك الأيام، وقد تناولها الكاتب الأديب الأستاذ كاظم المظفر رحمته الله في مقدمته للجزء الثاني عشر لكتاب شعراء الغري للأستاذ علي الخاقاني بتوضيح شاق حيث يقول: «ونحب أن نشير هنا إلى أن طلاب العلم في النجف، إذا برزوا في التحصيل الديني، تعفّفوا عن نظم الشعر وهم يظنون أن الشعر منقصة للعلماء، ولذلك فإنهم يعتزّون بالفقه، وينفرون من الشعر وعندهم أن الفقيه خير من الشاعر.

وكانت هذه الفكرة قديمة جداً، ترجع إلى زمن الشافعي الذي نسب له هذا

البيت:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أفصح من لبيد

«وهذا - كما ترى - قد جمّد العديد من القرائح الشعرية الوفاة وعطلّ المزيد

من المواهب الأدبية المختارة، كما منع أغلب الشعراء من التفوّق والتقدّم، لأنّ

(١) ماضي النجف وحاضرها، تأليف محبوبة: ج ٣ ص ٣٧٠.

(٢) شعراء النجف، تأليف الأستاذ عبد الكريم الدجيلي، ص ٢٥٠.

الاشتغال بالفقه والإمعان فيه يضعف مكلة الشعر - كما يقول ابن خلدون - حتّى لقد منع حفظ المتون ابن خلدون نفسه من إجادة الشعر، وقد روي عن فقيه أنّه تبخر في الفقه، فأصيب في الشعر، وقال:

لم أدر حين وقفت بأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى؟
وقوله ما الفرق بين هذا وذاك تعبير فقهي أصيل لا يمتّ إلى الأسلوب الأدبي بصلة.

ومن أجل ذلك تلاحظ في الكثير من القصائد والمقاطع التي أثبتتها الأستاذ الخاقاني في هذه الموسوعة جمعاً وافراً من الاصطلاحات الفقهية وتعابيرها الأصولية التي يتدارسها طلاب العلم.

«وإذا بلغ هؤلاء الطلاب المنزلة الفقهية الملحوظة عمدوا إلى آثارهم الأدبية فمزقوها أو أحرقوها، وإذا ترفقوا بها أبعدها عن أعين الناس وتصلوا عن كلّ ما يُنسب إليهم من الشعر... ومن هنا يتبيّن العناء والجهد اللذان لقيهما الخاقاني في تأليف هذه الموسوعة»^(١).

إلى هنا ينتهي تعليق الأستاذ كاظم المظفر وتحليله الشيق.

ورغم أننا نرى أنّ الشيخ المظفر لم يعمد إلى حرق أو تمزيق آثاره الأدبية ولم يبعدها أو يخفيها عن أعين الناس إلا أننا نرى أنّه أقلّ في شعره واقتصر فيه على المناسبات الدينية وعلى أصدقائه المقربين وعلى النادر من المناسبات الخاصة كثرثاء صديق أو تهنئة بقران ومولود.

ومن شعره :

(١) شعراء الغري، علي الخاقاني: ج ١٢ ص ١٣ و ١٤.

فلا كان ربي إن ظمئت من اللمى
 اذا كنت ممّا ينها الفضل ألا أروى
 مناي إذا يمت بيتك زائراً
 وسعيي إلى لُقياك غايي القصوى
 لك الأدب الموفو ويعلو منادة
 به يهتدي السادون إن خبطوا عشوا
 تمل نوادي الفضل إن ذكرت بها
 قصدك الغرّ فتحبها نشوى
 وتنتظر نادي الذكر حلواً فإن يخض
 بغيرك ممّا يجتني خلته خلوا
 تقدّم قوم فضلهم وزمانهم
 تقدّمهم شوطاً وإن جثتنا تلوا
 أعود إلى ذنب القطيعة موقناً
 بأنك عنه سوف تمنحني العفو
 ولولا جميل الصفح ما كنت مذنباً
 ولا كنت لولاه على فعله أقوى
 وللصفح بعد الذنب برء يحسه
 مقارف ذنب خاف ممّا جنى البلوى
 ولولاه ما أقرأتني الشعر حكمة
 يفاخر في مناله الحضر والبدوا
 وما خلت قبل القطع مني ووصله
 بأن مـرير الذنب يعقبني حلوا

وإن يعجبك الصنع منه تفضلاً
فهاتيك أخلاق الجواد فلا غروا
فما زال أطلق الوجه تحسب أنه
على البشر بادية لصورته سوى
وتقرأ ما في قلبه من جبينه
وبعض إذا أبدى الرغا أضمر العسوا^(١)
والقصيدة التالية له يرد ذكرها في شعراء الغري، ونشرت في مجلة الهاتف،
نذكرها نموذجاً رائعاً له نائياته حيث أسماها الشيخ المظفر (دمعة صديق على
جدت فقيد العلم والأدب العلامة المرحوم السيد مير علي أبو طيخ)، وهذه
مقتطفات منها:

يا سلوة الخلان والأحباب	فيم السلو وفيك كان مصابي
دمتُ الرثاء فسابقته مدامعي	فمزجته بالمدمع السكّاب
وأمضى شيء في مصابك زادني	شجواً ولا ينسى مدى الأحقاب
إن تستقل ولا أكون مودعاً	لك يا أخي وداع خلّ نابي

ثم يقول:

لو كنت أعلم أن يعالجك الردى
لأقمت حول فناك كالبواب
فعساك تمنحني الزيارة راحماً
شجو المقيم غداة تنظر ما بي

عاجلتنا قبل السرى بقطيعة
 ما القطع دأبك كان أو من دابي
 وبخلت باللقيا وأنت منزلة
 عن كل شين بالخصال وعاب
 عتبي عليك وقد قطعت وهل ترى
 يجدي عليك اليوم فرط عتابي
 يا خاطباً وذّي وملتدأ بها
 قارضته نظماً ونشر خطاب
 أترك تمنعني الجواب مخاطباً
 ولقد عهدتك مسرعاً لجوابي
 أرفقت والإرفاق منك سجيّة
 أن لا نراك فريسة الأوصاب

علم الإمام

كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميته وكيفية
طريقي العقل والنقل

للعلامة الشيخ محمد الحسين المظفر رحمته الله
المتوفى سنة ١٣٨١هـ = ١٩٦١م

تحقيق و تعليق:
أحمد بن كاظم البغدادي

مقدمة المؤلف

باعت التأليف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي اصطفى محمداً بالرسالة واختاره للدلالة، وارضى عترته الطاهرة للإمامة، وخصهم بالزعامة والكرامة، وحباهم من الفضائل ما يقصر عن شأوه الأواخر والأوائل، وميزهم بالعلم الذي استمد من ينبوع فيضه؛ فعجزت الأفكار عن إدراك مدى تلك المنحة، وحد ذلك الفيض. والصلاة والسلام على تلك الصفوة المنتقات من بريته، محمداً والأنمة الهداة من عترته.

وبعد، فقد سبق أن كتبت^(١) عن الإمام الصادق عليه السلام كتاباً جمَّ العناوين وكان

(١) كتاب يدرس حياة أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام (٨٢-١٤٨هـ) بصورة موجزة يشتمل على كثير من أمور حياته سلام الله عليه من مدرسته العلمية وتعاليمه ومناظراته وخطبه وأقواله ورواياته من الخاصة والعامة، وقد طبع في النجف، وأعاد

منها عنوان في عامة، وأن السابقين من أجله العلماء، الذين كتبوا عنه عليه السلام، يذكرون في باب علمه النوادر من الأجوبة البديعة والنكات الغامضة في الفقه وغيره، وإنما هي بأجوبة عالم فطن أشبه، وأين هذا من علم الإمام؟

ولمّا كنت لا أرى ذلك شيئاً ذا بال من الإمام، الذي استمدّ فرات علمه من منبع الرسالة، المستمدّ من علم العلام جلّ شأنه، ولمّا كنت وأمثالي نهجل حقيقة الرسالة والإمامة، ولا نعرف إلا شيئاً منهما بالأثر الخالد من العلم الغمر والفضائل المعجزة، اقتصرنا في ذلك الباب على الإشارة إلى علومه المنسوبة إليه، دون أن أحدّد علمه، لقصوري عن الوصول إلى غور ذلك العلم والإحاطة بكنهه. ولمّا كان هذا غير وافي بالقصد، لفتني بعض من يعز عليّ من أفاضل الإخوان إلى تحرير رسالة في علم الإمام وكان هذا التنبيه منه تفضلاً.

وإني لعلّى علم بأنّ هذا البحر لا يبلغ فكري قعره، ولا يصل فهمي إلى شاطئه ولو عرفنا قدر علم الإمام لعرفنا حقيقته ومبلغ صفاته. ولو اهتمدنا إلى كنهه، لوصلنا إلى معرفة من جعل الإمامة بتلك الوسامة، ورفعها إلى سمك لا نبصره ولا نصل - ولو بجناح العقاب - إلى سمانه.

ولمّا كان هذا الجهل لقصور في المَلَكَة والإدراك، فلا يحول دون التفكير في مبلغ ذلك البحر العجاج، والخوض فيه بقدر ما تصل إليه حواسنا من معرفته بالآثار، ودون التحرير لما تهتدي إليه أفكارنا القاصرة، وإلّا لسقط التكليف في معرفة الإمامة وتشخيص الإمام، بل وعرفان الرسالة من تَمَقُّص بأبرادها، بل ومن نصب ذلك العلم للإهتداء والمنار للدلالة.

→ طبعة بصفّ جديد مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين في الحوزة

ولا غرو ولو كنت القاصر عن بلوغ الغاية، والمتعثر في هذا الفجاج لبعد المقصد وطول الشقة، ولا أجدني عند الفكرة في ذلك العلم أو من أتصف به من تلك العصابة الزاكية إلا كراكب في زورق وسط بحر متلاطم الموج، لا تبلغ الرشا عمقه، ولا ترى العين ساحله.

راجياً منه جل شأنه، وبمن خصهم بتلك المزايا السامية والهبات الجليلة، أن يمدّ لي يد الرحمة، لينقذني من تلك اللجج المتلاطمة، وأنا على هدئ وسبيل نجاة، إذ ليست ضالتي المنشودة إلا خدمة الأئمة من أهل البيت، وطلب مرضيه تعالى فيهم.

محمد الحسين المظفر

مَقَدِّمَاتُ أَمَامِ الْبَحْثِ

١- إنَّ المراد بالإمام ها هنا^(١): هو الحِجَّةُ على العباد^(٢)، ومن وجبت معرفته^(٣)

(١) أي الامام عند المتكلمين، والامام في مصطلح المتكلمين هو: القائد العام للمسلمين الذي يخلف النبي ﷺ في كلِّ أو بعض ما يمتُّ له بصلة.

(٢) عن محمد بن عيسى، عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الأول - يعني موسى بن جعفر عليه السلام - قال: ما ترك الله عزَّ وجلَّ الأرض بغير إمام قط منذ قبض آدم عليه السلام يهتدي به إلى الله عزَّ وجلَّ وهو الحِجَّةُ على العباد من تركه ضلَّ ومن لزمه نجا حقاً على الله عزَّ وجلَّ.

(كمال الدين وتمام النعمة: ٢٢، باب اتصال الوصية من لدن آدم عليه السلام؛ معجم أحاديث المهدي: ح ١٢٠٨).

(٣) محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن هشام بن سالم، عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن معرفة الإمام منكم واجبة على جميع الخلف؟ فقال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ بعث محمد ﷺ إلى الناس أجمعين رسولاً وحجة الله على جميع خلقه في أرضه فمن امن بالله وبمحمد رسول الله ﷺ واتبعه وصدقه فإنَّ معرفة الإمام من واجبه عليه ومن لم يؤمن بالله وبرسوله ولم يتبعه ولم يصدقه ويعرف حقهما؟ قال: قلت: فما تقول فيمن يؤمن بالله ورسوله ويصدق رسوله في جميع ما انزل الله يجب على أولئك حق معرفتكم؟ قال: نعم أليس هو لا يعرفون فلاناً وفلاناً؟ قلت: بلى، قال: أترى ان الله هو الذي أوقع في قلوبهم معرفة هؤلاء؟ والله ما أوقع ذلك في قلوبهم إلا الشيطان لا والله ما ألهم المؤمنين حقناً إلا الله عزَّ وجلَّ.

(أصول الكافي، كتاب الحجة، باب معرفة الإمام والرد إليه، ح ٣).

وطاعته^(١)، وحرّم جهله وعصيانه. وكانت ميتة الجاهل به ميتة جاهليّة^(٢)، وهم: علي وأولاده الأحد عشر من الحسن إلى أبْنِ الحسن الغائب المنتظر، عليهم من الله تعالى أزكى التحيّة وأفضل السلام^(٣).

(١) وبهذا الاسناد عن معلى بن محمّد عن الحسن بن علي قال: حدّثنا حمّاد بن عثمان، عن بشير العطار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن قوم فرض الله طاعتنا وأنتم تأتّمون بمن لا يعزر الناس بجهالته.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب فرض طاعة الأئمّة، ح ٣).

(٢) ولا يخفى أنّ المصنّف أراد الاستشهاد بمعنى الرواية دون لفظها وألفظها أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبار عن صفوان عن الفضيل عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يعرف إمامه، مات ميتة جاهليّة»؟ قال: نعم، قلت: جاهليّة جهلاً أو جاهليّة لا يعرف إمامة؟ قال: جاهليّة كفر ونفاق وظلال.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب من مات وليس له إمام من أئمّة الهدى، وهو من الباب الأوّل، ح ٣).

(٣) محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن أبي سعيد العصفوري، عن عمر (و) بن ثابت، عن أبي حمزة قال: «سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنّ الله خلق محمداً وعليّاً وأحد عشر من ولده من نور عظمتهم فأقامهم أشباحاً في ضياء نور يعبدونه قبل خلق الخلق، يستبحون الله ويقدّسونه وهم الأئمّة عليهم السلام من ولد رسول الله ﷺ».

أصول الكافي، كتاب الحجّة، ما جاء في الاثني عشر والنصّ عليهم عليهم السلام، ح ٦؛ الأصول الستّة عشر، ص ١٤.

أما الأنبياء السابقون، فليسوا الآن من محلّ الإبتلاء لنا لندخل في البحث. وأما نبينا الأكرم ﷺ، فإنه يشملته البحث لكونه إماماً أيضاً. وسنشير إلى علمه قبل البحث في علم أوصيائه.

٢- إنَّ المراد من العلم الحضورى أو الإرادى والإشائى، هو: ما كان موهوباً من العلّام سبحانه، ومستفاضاً منه بطريق الإلهام، أو النقر في الأسماع، أو التعليم من الرسول، أو غير ذلك من الأسباب. وهذا العلم اختصّ به الإمام دون غيره من الأنام^(١).

وليس المراد من العلم ها هنا ما حصل بالكسب^(٢) من الإمارات والحواس الظاهرية والصنائع الاكتسابية، لاشتراك الناس مع الإمام في هذا العلم، لأنّه تابع لأسبابه الاعتيادية، وهذا لا يختصّ بأحد. وهو بخلاف الأول، إذ لا يمنحه علّام الغيوب إلّا لمن أراد واصطفى.

٣- إنَّ علم الله تبارك^(٣) اسمه قديم وسابق على المعلومات، وهو عين ذاته وعلة للمعلومات. وأما علم الإمام الحضورى، فلا يشارك علم الله سبحانه في شيء

(١) العلم الحضورى هو (حضور نفس المعلوم لدى العالم) فإنّ الواحد منّا يجد من نفسه أنّه يعلم بنفسه وشؤونها ويدركها حقّ الإدراك ولكن لا بانتقاش صورها وإنّما الشيء الموجود وهو حاضر لذاته دائماً بنفس وجوده. أن العلم الحضورى غير قابل للخطأ باعتبار أن المعلوم يكون حاضراً بوجوده العيني لدى النفس، فلا يعقل حينئذ خطأ النفس فيه كيف هو حاضر عندها.

(٢) يُعرف العلم الحضورى هو (حضور صورة المعلوم لدى العلم) كعلمنا بالموجودات بعد وجودها فتكون الموجودات بمنزلة الفاعل وعلما بها بمنزلة المنفعل.

(٣) بيان الفارق بين علم الله تعالى وعلم الإمام المعصوم.

من ذلك، لأنه حادث ومسبوق بالمعلومات وهو غير الذات فيهم، وليس بعلة للمعلومات. وإنما حضوره عندهم بمعنى انكشاف المعلومات لديهم فعلاً.

فلا ينبغي أن يتوهم ذو بصيرة بأنهم مشاركون له تعالى في هذه الصفة وأن القول بالحضور من الشرك أو الغلو، لاختلاف العلمين في الصفة.

على أن علمه تعالى ذاتي، وعلمهم عرضي موهوب وممنوح منه جل شأنه. فلم يبق مجال لدعوى اتحاد العلمين بتاتاً.

٤- إن المراد من العلم في المقام هو العلم في الموضوعات الخارجية الجزئية الصرفة، لا العلم في الموضوعات للأحكام الكلية. لأن جهل الإمام بها نقص في رتبته وحط من منزلته، وإن بيانها من خصائصه ووظيفته، ولا العلم في الأحكام، لأن الإمام لا بد وأن يكون علمه فيها حضورياً إذ لا يجوز أن يسئل عن حكم لم يكن علمه لديه حاضراً، وإلا لم يكن الحجة على العباد، بل ولبطلت إمامته.

٥- إن الكلام في علم الإمام يشمل العلم بالساعة والآجال والمنايا وغيرها مما ظاهره استثنائه به تعالى، والتي يجمعها قوله جل شأنه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾^(١)، لأن النصوص الخاصة صريحة في أن الله تعالى أطلعهم على هذا العلم، بل وبعض الآيات الكريمة مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢) وبها نرفع اليد عن ظواهر الآيات، والروايات التي دلت على اختصاصه تعالى بها دون خلقه؛ أو يحمل الاختصاص على العلم الذاتي دون العرضي.

(١) سورة لقمان: الآية ٣٤.

(٢) سورة الجن: ٢٦-٢٧.

علم النبي ﷺ

قبل أن نيسط الكلام في علم الإمام، نسطر كلمة موجزة في علم الرسول ﷺ. لأن علم الرسول هو المنيع وعنه الصدور.

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ للعالم أجمع، وللخليفة التي على كرة المعمورة كافة، وما كانت شريعته لتعم البشر على اختلاف الألسنة، وتباين الطبائع وتغاير الألوان، وتشاسع البلدان، إلا وهي صالحة لأن يكون نظامها العام الذي تنضوي تحت لوائه، والذي يوافق كل قطر، ويلائم كل جيل، ويجتمع مع كل لسان، من دون أن يكون لقطر أو جيل أو لسان ميزة على عداه ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١) وليس لأخ فضل على أخيه، وإنما هم سواء في ذلك النظام العام. نعم، إنما أقربهم إلى خالق السماء وبارئ النسيم منزلة، أطوعهم لامتنال أو امره، والانتها عن زواجه ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَسَّمْ﴾^(٢) و ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾^(٣).

وما كان ذلك الرسول مبعوثاً بتلك الرسالة العامة للبشر: أبيضهم وأسودهم، شريفهم ووضيعهم، قريبهم وبعيدهم. من دون أن يكون القدير على تمشية ذلك النظام أو تطبيقه على الجميع، وتنفيذه فيهم كافة، بغير محاباة ولا مجاملة، أو ميل لأحد على أحد، فيكون الكل لديه في الحق سواء، ولا تأخذه في الله لومة لائم. ولا فرق عنده في القيام بهذه المسؤولية العظمى والعب الرازح، بين أن تكون دعوته قد

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة الأنفال: ٣٤.

عمّت البشر أجمع، وهيمنت على الكرة كلّها، أو تكون مقصورة على إقليم خاصّ. ولو لم تكن له تلك الكفاءة والمقدرة، لما صلحت شريعته لأن تجمع العالم بأسره تحت نظامها البديع وقانونها الباهر.

إنّ الهيمنة على الكرة بأسرها، وتعميم الشريعة للعالم أجمع، يتطلّبان الكفاءة والمقدرة اللتين لا تكونان في العادة لبشر مهما كان له من العلم والقدرة، وقوّة الفكر والمزاج، واعتدال الطباع.

إنّ الرسالة إصلاح للبشر وتسوية في الحقوق وعدل في الأُمّة ومن يرتدي هذه الحلّة السماويّة فلا يعدو أن يكون أهلاً للنهوض بهذه الأعباء الباهضة، وكيف يتبعث الله إنساناً بذلك العبء الثقيل، ولا يجعل فيه تلك القوى الجسيمة.

فلو كانت له السيطرة على أقصى البلاد التي لا تصل رسله إليها إلّا بالشهور أو السنين، ولا تصل صرختهم إليه من ولاته ودعائه وجباته إلّا بذلك الزمن البعيد، فكيف يكون عدله شاملاً وأمنه مستتباً، وفي يوم فيه عامله جائر وجاييه خائف وقاضيه ظالم، ولا تصله أخبارهم إليه ولا نجدته لهم ولا رفع الظلم عنهم والإنصاف لهم من أولئك الخونة الجائرين إلّا بعد إعلامه بالشأن، وإيقافه على الحال، وهو يتطلّب ذلك الأمد الأبعد.

نعم، لا بدّ وأن يكون لصاحب هذه الدعوة وتلك السيطرة، من العلم من لدن العلام جلّ وعلا، ما يحيط بالجليل والحقير والكبير والصغير، فيما تأتي به الحوادث في تلك البلاد قربت أو بعدت، ليتسنى له أن يتدارك الحيف ويرفع الظلم وينتقم من أهل العدوان، عند أول زمن. ولولا هذا العلم المحيط، وتلك القدرة على التنفيذ، لكانت الرسالة ناقصة والإصلاح والعدل غير شاملين. فعلم الرسول بالعالم، وإحاطته بما يحدث فيه. وقدرته على تعميم الإصلاح للداني والقاص والحاضر والباد. من أسس تلك الرسالة العامة، وقاعدة لزوميّة لتطبيق تلك الشريعة الشاملة.

غير أنَّ الظروف لم تسمح لصاحب هذه الرسالة أن يظهر للأمة تلك القوى القدسيّة. والعلم الرباني الفياض. وكيف يعلن بتلك المواهب والإسلام غض جديد. والناس لم تتعرّف تعاليم الإسلام الفرعيّة بعد...؟ فكيف تقبل أن يتظاهر بتلك الموهبة العظمى، وتطمئن إلى الإيمان بذلك العلم؟ على أن سلطته ما اجتازت الجزيرة، وشريعته لم تهيمن على العرب كافّة. دون سواهم من الأمم. بل ولم يكن كلّ قومه الذين انضوا تحت لوائه من ذوي الإيمان الراسخ. وما خضع البعض منهم للسلطة النبوّة إلا بعد اللّتيا والتي وبعد الترهيب والترغيب. بل وكان البعض منهم يطن الكفر ويظهر الإسلام رهبة أو رغبة ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِتِّفَاقِ﴾^(١) إلى غير هؤلاء ممّن لم يعرف منزلة النبوّة ولا يقوى على عرفانها. فكيف والحال كما وصفنا. يتسنّى له العمل بكلّ ما أوتي من ميزة ولطف. ويقدر على إظهار كلّ موهبة.

وظيفة الخليفة

لما تجلّى لديك أنَّ الرسول لابدّ وأن يتحلّى بتلك الصفات السامية والمواهب الإلهيّة. من العلم والقوى العالية. اللّذين يؤهّلانه لأن يكون صاحب السلطتين الزمنيّة والروحيّة على الأرض كلّها، وأن يكون إصلاحه وعدله مخيّمين على البسيطة أجمع، مسيراً لشؤون العالم. من دون أن يعاني التعب في البعيد دون القريب، والجهد في القاصي دون الداني بل هو في ذلك كله على نهج واحد. وأنّ أمد الرسول منقّض مهما طال. وجب أن يكون له خليفة ينهض بجمع الناس، وتسييرهم تحت لواء واحد. وتطبيق نظام الشريعة عليهم، وقيامه بما قام به الرسول من إفشاء العدل

والإصلاح. واستتباب الأمن.

فالخلافة وظيفة تنوب عن الرسالة وتنهض بعينها الباهض. سوى مقام النبوة والتشريع، ولو لم يكن للخليفة تلك الملكة السامية القدسية السماوية، من العلم بما يحدث في العالم، ليسير بها على سنن العدل ومناهج الإصلاح، ومن القوى النفسية التي يستطيع بها على تمشية ذلك النظام الإلهي من دون مللٍ أو كلل. أو سأم وبرم، أو ميل لقريب وحبيب أو ميل على بعيد وغريب، لما حصل الغرض الأقصى من لطف^(١) الرسالة، ولذهبت الدعوة النبوية أدراج الرياح، فإن ما جاء به الرسول عن الجليل تعالى من الأحكام، وتطبيقها على المجتمع البشري لم يكن مقصوداً على زمن الرسالة وأهل أوانها فحسب، بل هو عام لكل قوم وجيل وزمان ومكان ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢) فتطبيق ما صدع به الرسول بعد عصر الرسالة يحتاج إلى ذلك الخبير في كل وقت وحين بتلك الأحكام كما أنزلت؛ وبذلك النظام كما صدع به، وبما يحدث في العالم، كما كان عليه الرسول، لتعميم العدل والأمن، وتنفيذ أحكام الشريعة، وذلك الخبير هو الهاد بعد المنذر، من دون فصل، ومن دون استثناء زمن، ولولا ذلك الخبير الهاد - إذا أطيع - لدخلت الأهواء الباطلة والآراء الضالة، في تلك الأحكام وذلك النظام، فتصبح الأمة مذاهب وشيعاً. وأحزاباً وفرقاً.

وهل وقعت في هذه الجبائل إلا حين صفحت عن ذلك الطُّبْنُ بأُمُور الدُّنْيَا والدُّنْيَا، وصافحت من هو في أمس الحاجة إلى الإرشاد والإصلاح وإقالة العثرات ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾^(٣).

(١) اللطف هو ما يكون المكلف معه أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد من فعل المعصية ولم يكن له حظ في التمكين ولم يبلغ حد الإلجاء. انظر كشف المراد.

(٢) سورة الرعد: ٧.

(٣) سورة يونس: ٣٥.

وخلاصة الكلام: أنَّ الخلافة تسيير لنظام الرسالة. ونهوض بعينها من كافة الجهات، حذو القذة بالقذة، إلا ما كان من الوحي ومقام الرسالة الخاص.

ولولم يكن في الأمة من يقوم بهذه المهمة العظمى، لذهب فضل الرسالة، ولم يعرف شأوها الرفيع، ولخابت تلك الجهود الكبيرة من صاحب الرسالة، لقصور الأمة عن عرفان تلك السنن، وتمشيتها على الوجه الأكمل.

وهل أحد غير ذلك الخليفة خبير بالشريعة الحقّة وقدير على تغذيتها؛ كما شاء الشارع وأراد الصادع...؟ وهل أحد سواه يقوى على قمع الباطل وقطع حجج ذوي الضلال...؟

الخلافة وأهل البيت عليهم السلام

لم نقصد بما سلف إثبات الخلافة لأهل البيت ونفيها عن غيرهم، وإنّما أردنا البرهان على ما يجب أن يتّصف به الخليفة، فلو استلزم هذا البيان حصرها فيهم، فليس مقصوداً بالأهل ومنظوراً بالبحث.

إنّ إمامة أهل البيت معتقد فرقة إسلاميّة، ذات العدة والعدد والعلم والعمل. ولها في هذا الميدان الحلبة الواسعة والحجج القويمة، من لدن أن وجدت الإمامة والخلافة حتّى هذه الساعة.

ومهما كان الأمر، فإنّ الخليفة -كما قلنا- لا بدّ وأن يتقمص بتلك الخلخال الكريمة من العلم الذي لا يحصل في العادة بالكسب والتعلم؛ ومن القوى التي لا توجد عادة في إنسان قط وإن أمكن عقلاً، وإنّما هو من الفيوضات الربانيّة والمواهب السماويّة.

ومن لم تكن فيه تلك المنح، فلا يقدر على تأدية ذلك الواجب.

وإن صفح الناس عمن اتصف بتلك السمات لا يمس بكرامته، ولا يفضّ من مقامه، بل يعود وباله على من أعرض عنه. لأنّه إنّما أعرض عن حظه من العدل والصلاح والهداية والفلاح.

علم الإمام الحضوري

من طرق العقل

الطريق الأول:

الحضورى أنفع للأمة

لقد قامت الحجج النبوة والبراهين العقلية، على أن الرسول لابد له من خليفة يجمع شمل الأمة، لئلا تتفرق عن الحق، بعد اجتماعها عليه. وهل يجمع شملها إلا ذلك القائم مقام الرسول؟

كما دلت تلك البراهين على أن الخليفة لابد وأن يتحلّى بالصفات التي تؤهله لأن يقوم مقام صاحب الرسالة، لئلا يعجز عن إدارة شؤون الأمة، وعن دحض مزاعم أهل الأهواء الفاسدة، والعقائد الباطلة، بالبراهين القاطعة والحجج الحقة. فإن عجز عادت الأمة شيعاً وشعباً، ومللاً ونحلاً.

وكما دلت على أن يكون له من العلم، بمقدار ما يمكن أن يمتد إليه سلطانه، ويهيمن عليه نظام الشريعة. ولا يمكن أن يخيم العدل والإصلاح والأمن، وذلك النظام على كرة الأرض ما لم يكن لذلك القائم بالأمر علم بما يحدث في هاتيك البقاع والأصقاع.

ولابد أن يكون علمه بالحوادث: كعلمه في سائر الفنون والأديان والمعارف والأحكام. وكيف لا يكون بهذه الصفة وهو الحجة على العالم، والمؤدى عن صاحب الدعوة، والقائم بوظيفته.

ولو كان جاهلاً ببعض تلك الشؤون، أو كلّها، لما صلح لأن يؤدى عن الرسول،

يقوم مقامه، ويكون حجة الله على العالم، الذي يحتج به على أهل الملل والأديان، وذوي الأهواء والآراء، والأضاليل والأباطيل وكيف يحتج الله على عباده بذوي الجهل، ومن لا فقه له، ولا علم لديه؟ وإن سئل عن شيء صمت، أو نطق أعرب بقوله عن جهله.

وجملة القول أنَّ الإمامة ضرورية للأمة، وأنَّ الإمام لابدَّ له من ذلك العلم الزاخر المستمدَّ من ينبوع علم العلام تعالى.

ولو لم يكن في الأمة إمام على هذه الصفة، لما قامت لله الحجة البالغة على خلقه بعد الرسول، إذ لا تقوم الحجة بذوي الجهل.

فإن كان أهل البيت هم الأئمة حقاً والخلفاء صدقاً، فلا بدَّ أن يكونوا علماء بكل شيء علماء حضورياً مما كان ويكون وما هو كائن، وفي كلِّ فنٍّ وحكم وأمر. فلا يجوز أن يسأل الإمام عن شيء مهما كان، ولا يكون عنده علمه، ولا يحدث شيء وهو غير خبير به، لتكون لله تعالى به الحجة البالغة على خلقه، كما كانت لصاحب الرسالة.

ولولا الإمام لا تقطع أثر الرسالة العظيم، ولم تلمس الناس جدواها الجليلة في العاجل والآجل. إلى غير هذا مما يستلزم إضعاف شأن الرسالة وعدم سريّة نفعها. وإذا أبت الظروف أن تسمح لذلك الإمام باظهار ما أودعه العلام سبحانه عنده من جليل علمه، وأسرار حكمه. فلا يكون معنى ذلك أنّه ليس لديه هذا العلم، والوجدان خير مرشد إلى هذا الوجود، لظهوره أحياناً على أفعال ذلك الإمام وأقواله، ومحاوراته ومناظراته.

وإذا أصاعت الناس تلك المنفعة الجليلة من مخزون علم الإمام، وصالح إرشاده وجميل إصلاحه، بإعراضهم عنه وإقبالهم على سواه. فلا يكون معنى ذلك أنّه لا فائدة مهمّة بعلمه، لأن الفائدة الجليلة إنّما ضاعت بما اختاره الناس لأنفسهم.

فإن من يضع على عينه غشاوة لئلا يبصر القمر ونوره، فلا يعدم ذلك نور القمر، وإنما يعدم الإنتفاع بذلك النور بسوء ما اختار. ولولا هذه الإضاعة وتلك الغشاوة، للمسوا تلك الجدوى، ولا هتدوا بذلك النور.

نعم! لو كان الإمام صاحب السيف والصولجان، وكانت الوسادة مثنية له، لظهر علمه ناصعاً، تبصره كل عين، وتلمس آثاره كل يد. ولم يملك من أنمة أهل البيت (عليه السلام) أزمة الأمور إلا أمير المؤمنين (عليه السلام) أربع سنين وأشهرًا. وأنت تعلم كيف لاقى من الأمة من النزاع والصراع والقراع. ومع ذلك فقد ظهرت له في هذه المدة الوجيزة من الفضائل والعلوم ما ملأ الخافقين. وهي وإن كانت غيضاً من فيض، إلا أنها أدهشت العقول وأحارت الألباب، حتى دعت بعض الضعفاء في البصائر إلى الغلو فيه ورفعوا عن مستوى البشر إلى منزلة الألوهية. فكيف تراهم لو أبدى جميع الممكنون من علمه، والمخزون من حكمه وحكمه.

الطريق الثاني:

الحضورى أكمل في الرسالة والإمامة

إن الأكمل في الرسالة والإمامة أن تكون الصفات في الرسول والإمام أتم الصفات، ولا تكون أتمها ما لم يكن علمه حضورياً غير معلق على الإشاء والإرادة، لأن العلم المعلق على الإشاء كمال لا أكمل، وفضيلة لا أفضل.

الطريق الثالث:

الحضورى أسبغ في النعمة

إن إرسال الرسل والأنبياء، وإقامة الأنمة والأوصياء، من النعم التي أسبغها المولى تعالى على عبده، والتي يجب أن يشكرها العباد دوماً، معترفين بفضلها

مقرّين بجزيلها. وهل الأجود في هذه النعم التي منّ بها اللطيف سبحانه على عبادة أن تكون على أتمّ حاله وأكمل صنعه وأحسن صبغته، مع قدرته جلّ شأنه على هذه الأتمّة، وعدم المانع عن إيجادها على الصفة الأكملية والصبغة الأحسنية. أو تكون على صفة التمام والكمال لا الأتمّة والأكملية.

لا يرتاب العقل في أنّه من كمال المنّة في أن تكون النعمة أسبغ، والصفة أفضل والصبغة أحسن، كما لا يشكّ في أنّ العلم الحضوري هو الأسبغ في النعمة، والأكمل في الصنعة. والأفضل في الصفة، مع قابلية المحلّ والحاجة إليه.

الطريق الرابع:

الحضوري أتمّ في القدرة

لا يشكّ العقل في أنّ الله جلّت قدرته قادر على أن يجعل رسوله المصطفى وأوصيائه الأصفياء، على أكمل صنعة وأزكى نقيبة وأنفس صفة كما لا يرتاب في أنّ جعلهم على ذلك الكمال الأرفع والفضل الأسمى لا مانع يحجز دونه ولا حائل يقف أمامه.

فلأيّ شيء إذاً لا يجري الله سبحانه قدرته في صفوته من برّيته على ذلك الصنع الأكمل والشأن الأفضل. حين لا مانع عن أجراء تلك القدرة الفضلي.

الطريق الخامس:

الحضوري أكمل في اللطف

إنّ إرسال الرسل، وجعل الحجج، وإقامة البينات؛ لطف منه جلّ شأنه. وهل الأكمل في اللطف أن يكون على أجمل صورة، وأفضل صنعة وأكمل تركيب، أو أن يكون على وجه يحصل به اللطف من الجمال في الصورة، والكمال في التركيب،

والفضل فى الصنعة، والحجة فى الدلالة غير أنه على غير الأعلى والأسمى، والأتم فى الحجة، والأكمل فى الدلالة لا يشك العقل فى أن اللطيف جلّ لطفه إنما يجرى نعمه وأطافه، وحججه وآياته على الأتم الأرفع، الأجمل الأسيع.

والعقل، وإن لم يصل إلى جميع المصالح والحكم التى بنى عليها الحكيم تعالى أفعاله وصناعاته، إلا أنه على يقين لحسن الظنّ به سبحانه بأنه جلّ شأنه قد بنى سائر أعماله على الحكمة والصلاح، وأنّ الأسبّ بحكمته مع سعة قدرته أن تكون مصنوعات وصناعاته على الوجه الأكمل وبيناته وآياته على النحو الأتم، وبنياته على الأتمن الأقوى.

الطريق السادس:

الأولى فى الإمام اختيار الأفضل

إنّ النفس - ولا سيّما الحساسة - التى نقت من دون الفضائل، وتخلّت بجميل الفضائل والتى تستطيع بتلك الملكة القدسيّة أن تغتنم كل فضيلة، لا ريب فى أنّها تطمح إلى أفضل السّمات وأشرف الصفات. ولأى شيء لا تختار تلك المنزلة العليا والصفة الفضلى إذا كان لها الإختيار، ولم يكن ثمة حائل دون ما تختار، ولو لم تختار هاتيك الرتبة السامية لاعتقدنا بأن هناك قصوراً فى الإدراك وضعفاً فى الحسّ، وأنّها ليست كما يعتقد بها من ذلك السمو والتجرّد والقدرة والاختيار.

ولا ريب فى أنّ الحضورى أفضل من الإرادى. وإذا كان اختيار الأول راجعاً إلى الرسول أو الإمام نفسه. فلم لا يختار الأكمل، ويريد الأفضل. وأي نفس قدسيّة وملكة فردوسية، لا تختار الأسمى محلاً والأعلى رتبة.

الطريق السابع:

الحضوري أبلغ في المثالية

إن صفات الرسول وأوصيائه مثال لصفات الجليل تبارك اسمه ولا شبهة في أن الأبلغ في المثالية أن تكون صفاتهم أكمل الصفات، وخصالهم أفضل الخصال فالعلم الحضوري هو الأولي. لأنه الأبلغ في المثالية.

وأما أن صفاتهم مثل لصفات الخالق تعالى، فهو ما يشهد له العقل والنقل. أما النقل فكثير، ومنه قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «نحن صنائع الله؛ والناس بعد صنائع لنا»^(١). وتحليله أن يقال: إن الله تعالى شأنه لما أحب أن يعرف خلق الخلق ليعرف^(٢)، ولما أحس البشر أن لهم خالقاً خلقهم، ومصوراً أوجدهم، أرادوا أن يعرفوه وكيف بعد أن أوصلهم الحس إلى وجود الخالق لهم لا تندفع نفوسهم إلى عرفانه. والمعرفة أساس الاتصال بين الخالق والمخلوق.

فكان ظهوره جلّ وعزّ أكشف للسر وأجلى للغشاء. ولما استحال ظهوره تعالى بنفسه لزم أن يظهر لعباده بصفاته، ولقصور العقول عن الإحاطة بغالي تلك الصفات. ولتقريب الأمر إليهم عن كذب. خلق لهم بشراً منهم يمثل لهم تلك الصفات السامية لذاته تعالى بما اتصفوا به من جميل الخصال.

وهل ياترى خلق خلقاً أفضل في الصفات وأجمل في الخصال من نبينا الأكرم وأوصيائه الأمناء، فكانوا أحق البشر في أن يمثلوا صفاته القدسية. ولولا هؤلاء لما حصل الغرض من خلق الخلق، لعدم معرفتهم به تلك المعرفة المطلوبة، بدون أن

(١) نهج البلاغة، ٢٨.

(٢) الحديث القدسي «كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف».

يكونوا ممثلين لصفاته، فلذا كان خلق الخلق لأجل أولئك الذين مثّلوه، ليحصل بذلك عرفانه، فكان الناس الصنائع لأجلهم^(١).

وأما العقل، فهو بعد أن أدرك أن لهذا العالم الملموس موجداً ابتدعه يلتبس الوصول إليه. والاهتداء إلى الوقوف عليه. وبالأثار يتعرّف ذلك المبدع الموجد. وأقربها إلى حسه أن يكون له مثال يكشف عن سمو صفاته، بعد أن تعذّر عليه الوصول إلى قدسي ذاته.

فإذا عرفنا بالأثار أنّ خاتم الأنبياء وأوصيائه النجباء أكمل العالم صفاتاً وأفضلهم أعمالاً. عرفنا أنّ المثاليّة فيهم أتمّ وهل الأجدر فيها أن تكون على الطراز الأعلى والسنام الأرفع. أم على وجه لا يخلو من قصور... ترى أنّ العقل يتردّد في اختيار الفرار الأفضل للتمثيل، والطراز الأتمّ للتعريف.

(١) يقول عليه السلام: «ليس لاحد من البشر علينا نعمة، بل الله تعالى هو الذي أنعم علينا، فليس بيننا وبينه واسطة والناس بأسرهم صنائعنا؛ فنحن الواسطة بينهم وبين الله تعالى» ويحتمل أن يريد بالناس بعض الناس أي المختار من الناس نصطنعه ونرفع قدره. وقال ابن أبي الحديد: هذا مقام جليل طاهر ماسمعت وباطنه أنهم عبيد الله والناس عبيدهم. وقال ابن ميثم: لفظ الصنائع في الموضوعين مجاز من قبيل إصلاف المحال يقال: فلان صنيعه فلان إذا اختصه لموضع نعمته، والنعمة الجزيلة التي اختصهم الله بها هي نعمة الرسالة وما يستلزمه من الشرف والفضل حتى كأن الناس عيالاً لهم فيها. بحار الأنوار: ج ٣٣ ص ٦٨.

الطريق الثامن:

الحضوري أبلغ في الدلالة

إن الرسول الأمين وخلفاءه الأئمة؛ أدلاء على الموجد سبحانه، المتفضل بسوابغ النعم التي تفوت حد الإحصاء.

والدليل يجب -بحكم العقل- أن يكون صالحاً للقيام بوظيفته... وهل الأبلغ في الدلالة، والأمثل في الإشارة أن يكون الدليل على أحسن سمة وأفضل صفة، أو يكفي فيه أن يتحلى بمحاسن الخصال، وإن كان ثمة ما هو أرفع مقاماً، وأعلى منزلة؟ لا يشك العقل في أن الأجدر في الدليل أن يكون أعلى منزلة، إذا كان المدلول عليه لا يحيط به الوصف، ولا يصل إلى كنهه الحس، ليكون أقرب إلى الإشارة في تعريفه. وأقدر على البيان في وصفه.

الطريق التاسع:

ذو العلم الحضوري أسلم عن الإنخداع

إذا لم تكن الضمائر متجلية للإمام، ولا الدفائن منكشفة له، جاز أن لا يعرف المؤمن من المنافق والسليم من السقيم. حينما يتساوى الجميع في المظاهر الجميلة، ويتنافسون في الأعمال الجليلة.

وما الذي - عند ذلك - يحجز عن انخداعه بذلك الجمال البارز، فيمنعه عن الوقوع في الأخطار، وإيقاع سواء في المهالك. كل ذلك ركوناً إلى تلك الصور الجميلة، واعتماداً على ذلك الحسن الفاتن.

وأما إذا كان علمه حضورياً فلا تخفى عليه دخائل الصدور وخبايا الزوايا فكيف يغتر بالجمال الظاهر، أو يفتتن بالبيان الساحر؟ فصاحب العلم الحاضر أسلم

عن الإنخداع وأبعد عن الإفتتان.

الطريق العاشر:

لابد أن يكون علم السفير والشهيد حضورياً

إنَّ النَّبىَّ وخلفاءه الأئمة سفراء الله في الناس وأمناءه على خلقه، وشهداؤه عليهم، وكيف يكون الشهيد على الناس والسفير فيهم والأمين عليهم، من لا يعلم شيئاً من حالهم، ولا يدري ما ذا كان عملهم، ولا يكون خبيراً بما تجنّه ضمائرهم، وتطويه سرائرهم...؟

فلو كان علمه حضورياً، لحقَّ أنَّ يكون الشهيد على الأمة المخبر عمّا عمله، والأمين على العالم الناصح لهم، والسفير فيهم، والوسيط بينه تعالى وبينهم، والمبلغ عنه أحكامه تعالىمه، وعنهم الطاعة أو العصيان.

هذا بعض ما سنح في الفكر من تقريب العقل للحضورى؛ وتقديمه على الإشائى ولو أردنا بسط البحث، لكانت الأدلة أكثر... وبما سبق كفاية.

هل هناك حكم عقلى معارض؟

إنَّا لو أطلنا التفكير في هذا الشأن، وأجلنا النظر في أطرافه، لم نجد برهاناً للعقل يدفع ما سلف، ويهدم أساس ذلك البناء الرصين.

نعم أقصى ما يمكن أن يدعى نهوضه للمقاومة، أمور ثلاثة:

الأول - ان العقل يستعظم ذلك المقام، ويستكبر تلك المنزلة، حتّى يكاد أن يلحق ذلك الزعم بالغلو.

الثاني - لو كان علمهم حضورياً لا لتمست آثاره، وسمعت أخباره. وكيف تخفى مثل هذه الخلّة العظيمة؟

الثالث - آية جدوى ملموسة، لو كانت لهم تلك الملكة النفسية. وهم لا يقوون على إعمالها؟ وآية فائدة محسوسة. إذا كانوا على تلك الصفة وهم لا يستطيعون أن يتظاهروا بها.

الجواب عن الأول

إنَّ الإستعظام أو الإستبعاد ليسا من البراهين لتقوم بدفع ما سلف على أنَّ مثل الإستكبار لو فرض وقوعه من العقل. فهو عند أول نظرة، وحين عروض هذه الخلَّة. قبل الرؤية والسير لما سجله العقل من الحجج وأتى به من الشواهد المقرَّبة.... ولو فطن إلى أنَّ الحضورى ممكن بنفسه لا مانع من اتِّصافهم به بل وكان الأجدر بهم. والأنسب لمقامهم، لما وجد مجالاً للاستبعاد. ومحلاً للاستعظام. وأمَّا الغلو فلا مورد له. بعدما أسلفنا بيانه في المقدمة الثالثة من الفرق بين علمه تعالى وعلم الإمام على تقدير كونه حضورياً.

الجواب عن الثاني

إنَّ مشاهدة الأثر لذلك العلم الحضورى لا يختلف فيه إثنان. إلّا من يريد الخطأ من مقام الأئمة ودفع تلك المنزلة من العصمة. ومثل هؤلاء لا نقف معهم في مثل هذا الموقف. ولا نخوض وإياهم في مثل هذا البحث. ونكران المشاهدة مكابرة محضة. ومن أين ذهب بعض الضعاف في البصائر إلى القول بألوهيتهم لو لم يكن هناك ما يشاهدون من الآثار التي لم تتحمَّلها عقولهم. وهذه كتب الفضائل بين يديك تعطيك مثلاً صالحاً لذلك العلم. فكم أخبروا عمَّات وعمَّات. وكم حدَّثوا رجلاً عمَّا ارتكب من فعل وعمَّات نوى في نفسه، واختلج في صدره.

ولولا الإطالة لأتينا لكلِّ إمام من ذلك طرفاً مستملحة. وإنَّ الكتب المَعْدَّة

لسرد أحوالهم أشارت إلى شيء من تلك النواذر، وكفى منها: إرشاد الشيخ المفيد، وكشف الغمة، ومناقب ابن شهر آشوب، وأصول الكافى فى باب مواليدهم، وبصائر الدرجات والخرائج والجرائح وروضة الكافى، وجمع شطراً منها صاحب مدينة المعاجز.

الجواب عن الثالث

إنَّ تلبُّسهم بتلك الخصال الكريمة وإن كان لنفع البشر، إلا أنَّ الناس إذا انصرفوا عن نور الحقِّ، وتسكعوا فى وهدة الباطل، بسوء الاختيار منهم، فأبى تقصير يكون لمن تغمَّص بذلك الخلق الكريم، إذا لم يجد مساعداً لإظهار علمه، وإبراز ما يحمل من الهدى والرشاد...؟

ولو صحَّ من هذا النقض لبطلت النبوات والشرائع، لصفح الناس عن أولئك الهداة، وإعراضهم عن هاتيك الأحكام الإلهية. بل لبطل خلق الخلق، لأنَّهم لم يعرفوا الحق كما يحق ولم يعبدوه كما يجب.

نعم! لو تُبَيَّنَت الوسادة لأولئك المرشدين لعرفت الناس منازلهم حقاً ولظهرت آثارهم واضحة. ولكن كيف يمكنهم أن يعلنوا بما تضم جوانحهم، والناس مصرة على الإعراض عنهم، وعدم الاهتداء بنورهم والإنتفاع بعلمهم؛ بل والسيوف مجرّدة فوق رؤوسهم، إن فاه أحدهم بمكنون علمه، أو أظهر كرامته، أو أقام حجة، لم يجد ما يشيم عنه ذلك الصارم، أو يقف دون حده.

حتى أن الصادق عليه السلام قال: «لو كانت لألستكم أوكية لحدثت كلَّ امرئٍ بما له وعليه...»^(١)، وحتى قال الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق: «يا بن النعمان إنَّ العالم لا يقدر

(١) حدَّثنا الحسين بن علي عن العباس بن عامر عن خريس عن عبد الواحد بن المختار

أَنْ يُخْبِرَكَ بِكُلِّ مَا يَعْلَمُ...»^(١) إلى كثير من أمثال هذا.

→ عن أبي جعفر عليه السلام قال: لو كان لألسنتكم أوكية لحدث كل امرئ بما له.
 (بصائر الدرجات، باب في الأئمة لو كان لألسن شيعتهم أوكية لحدثوا، ح ١ و ٢.)
 (١) الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول: عن أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول
 قال: قال لي الصادق عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ عَيَّرَ أَقْوَاماً فِي الْقُرْآنِ بِالْإِذَاعَةِ، فَقُلْتُ لَهُ:
 جُعِلَتْ فِدَاكَ، أَيْنَ؟ قَالَ: قَالَ «قوله ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْخَوْفِ أَدَّاعُوا
 يَدِي﴾ (النساء: ٨٣)، ثُمَّ قَالَ: المذيع علينا سرنا كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبداً
 سمع بمكنون علمنا، فدفنه تحت قدميه، يابن النعمان إِنِّي لأُحَدِّثُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ
 بِحَدِيثٍ فَيَتَحَدَّثُ بِهِ عَنِّي، فَاسْتَحَلَّ بِذَلِكَ لَعْنَتَهُ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُ، فَإِنَّ أَبِي كَانَ يَقُولُ: وَأَيَّ
 شَيْءٍ أَقْرَأُ لِلْعَيْنِ مِنَ التَّقِيَّةِ، إِنَّ التَّقِيَّةَ جُنَّةُ الْمُؤْمِنِ وَلَوْلَا التَّقِيَّةُ مَا عُبِدَ اللَّهُ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ
 وَجَلَّ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ٢٨)، يابن النعمان إِنَّ المذيع ليس كقاتلنا
 بسيفه، بل هو أعظم وزراً بل هو أعظم وزراً (تحف العقول: ٢٢٨)،
 يابن النعمان، إِنَّ الْعَالَمَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يُخْبِرَكَ بِكُلِّ مَا يَعْلَمُ، لِأَنَّهُ سَرَّ اللَّهُ الَّذِي أَسْرَهُ إِلَى
 جِبْرِئِيلَ، وَسَرَاهُ جِبْرِئِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْرَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَلِيٍّ، وَأَسْرَهُ عَلِيٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 إِلَى الْحَسَنِ، وَأَسْرَهُ الْحَسَنُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحُسَيْنِ، وَأَسْرَهُ الْحُسَيْنُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَلِيٍّ، وَأَسْرَهُ
 عَلِيٌّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَأَسْرَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى مَنْ أَسْرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا تَعْبَلُوا فَوَ اللَّهِ لَقَدْ قَرَّبَ هَذَا
 الْأَمْرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَأَذْغَتُمُوهُ فَأَخْرَجَهُ اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا لَكُمْ سِرٌّ إِلَّا وَعَدَّوْكُمْ بِهِ مِنْكُمْ (تحف
 العقول: ٢٢٩). يابن النعمان، إِبْقِ عَلَى نَفْسِكَ فَقَدْ عَصَيْتَنِي، لَا تَذْعُ سِرِّي، فَإِنَّ الْمَغْفِرَةَ
 بِنِ سَعْدٍ كَذَبَ عَلَى أَبِي وَأَذَاعَ سِرَّهُ فَأَذَاغَهُ اللَّهُ حَرَّ الْحَدِيدِ، وَإِنَّ أَبَا الْخَطَّابِ كَذَبَ عَلَيَّ
 وَأَذَاعَ سِرِّي فَأَذَاغَهُ اللَّهُ حَرَّ الْحَدِيدِ، وَمَنْ كَتَمَ أَمْرَنَا زَيْنَهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

فكانت المخاوف من جهة، وعدم تحمل الناس ذلك من جهة أخرى، إلى ما سوى هذه الجهات، صوارفاً فألهم في إبداء ما منحوا من تلك الكرامة.

→ وأعطاه حظّه، ووقاة حرّ الحديد وضيق المحابس، إنّ بني إسرائيل قحطوا حتّى هلكت المواشي والنسل فدعا الله موسى بن عمران فقال: يا موسى إنهم أظهروا الزنى والربا، وعمرّوا الكنائس، وأضاعوا الزكاة، فقال: إلهي تحنّن برحمتك عليهم فإنهم لا يعقلون، فأوحى الله إليه: إنّي مرسل قطر السماء ومختبرهم بعد أربعين يوماً، فإذا عوا ذلك وأفشوه، فحبست عنهم القطر أربعين سنة، وأنتم قد قرّب أمركم فأذعتموه في مجالسكم.. إلى أن قال: (تحف العقول: ٢٣٠) ومن استفتح نهاره بإذاعة سرّنا، سلّط الله عليه حرّ الحديد وضيق المحابس. (مستدرك الوسائل، باب ترحيم إذاعة الحقّ مع الخوف به، ح ١).

البرهان النقلى
على علم الإمام الحضورى

إنَّ النقل «كتاباً وسنة» يعارض حكم العقل بأنَّ علم الرسول وأوصيائه حضوري، بل هو أصرح في الدلالة، وأظهر في المطلوب.

ما دلَّ من الكتاب على علمهم الحضوري

لقد نطق الكتاب المجيد في عدة آيات بعلمهم الحضوري، نذكر منها بعض الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسُخُونَ فِيهِ أَعْلَمُ﴾^(١) إِنَّ النَّبِيَّ وخلفاءه الأئمة من الراسخين في العلم، الذين قرَنَ الله جلَّ شأنه علمهم بالتأويل بعلمه. فعلمهم بالتأويل في عرض علمه. وكيف يعلمون التأويل وعلمهم غائب عنهم؟ وكيف يقرنهم جلَّ شأنه في العلم بعلمه وعلمهم غير حاضر لديهم؟.

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾^(٢) فقد دلت هذه الآية الكريمة على أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا ينطق إلا عن وحي^(٣) وتعليم، من دون أن يذكر لذلك التعليم حدًّا، وللوحي قيدًا، وإنَّ الأئمة

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) سورة النجم: ٣-٥.

(٣) والوحي في الاصطلاح، هو: عبارة عن الرابطة المعنوية التي تحصل للأنبياء عن

ورثة النبي ﷺ في علمه وسائر فضائله.

ومنها قوله عز شأنه: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(١) ولا شك في أنَّ نبينا الأكرم ممَّن ارتضاه تعالى للإطلاع على غيبه، بل الأخبار في تفسير هذه الآية الكريمة صريحة بهذا. وهل العلم الحضورى إلا الإطلاع على الغيب؟ وهل المستبعد المستعظم لحضورى علمهم إلا لكونه غيباً. والغيب ممَّا استأثر به العلَّام جلَّ شأنه. فأين هو ممَّا نوَّهت به هذه الآية الكريمة؟ وأمَّا الإمام فهو الوارث لعلم الرسول، وخصاله كافَّة.

ومنها قوله تبارك وعلا: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ﴾^(٢) وقد جاء في تفسيرها إنَّ الأذن الواعية هي أذن أمير المؤمنين عليه السلام وأنها وعيت ما كان وما يكون.

ومنها قوله عز وجل: ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾^(٣). وقوله تعالى شأنه: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾^(٤) إلى غيرهما من الآيات المصرحة بوجود الشاهد على الأُمَّة يوم البعث والحساب، وقد فسرت بالنبي ﷺ وأوصيائه الأئمَّاء. وكيف يكونون الشهداء على الناس، وهم لا يعلمون شيئاً من حالهم، ولا

→ طريق الاتصال بالغيب، لتلقي الرسالة السماوية. والرسول هو الستم للرسالة التي تأتیه بواسطة هذا الاتصال - الوحي - من الجهة المرسله. ولا تتوفر في غيره الاهلية والقدرة على مثل هذا التلقي أو الاستلام. علوم القرآن ج ١، ص ٣، قم انتشارات إسلامي.

(١) سورة الجن: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الحاقة: ١٢.

(٣) سورة النساء: ٤١.

(٤) سورة ق: ٢١.

يدرون بما يعملون...؟ وهل يكون الشاهد إلا الحاضر المطلع...؟

ومنها قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(١)

وقد صح أنهم هم المقصودون بهذه الآية. ولو لم يكن علمهم حاضراً، لما صدق عليهم أنهم أوتوا العلم. وكيف يكون ثابتاً في صدورهم وهم لا يعرفونه؟ وهل يكون غير الموجود ثابتاً؟

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢).

فبهذا نفهم أنه ﷺ عالم بكل شيء، ولا يكون ذلك إلا بالحضور. وما انتهى إليه ﷺ فقد انتهى إليهم.

إلى غير هذه الآيات البينات، مما يشهد لذلك العلم الحاضر.

ما دل من الحديث على علمهم الحضور

لقد صرحت الأخبار، وأنباء بوضوح، بما كان عليه النبي ﷺ والأئمة من ولده، من ذلك العلم الحاضر... ونورد طرفاً منها في ضمن طوائف.

الطائفة الأولى:

الأئمة خزنة العلم والحجة البالغة

صرحت طائفة من الأحاديث بأن الأئمة من أهل البيت ﷺ خزنة علم الله وعبية وحية^(٣)، وأنهم الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض^(٤).

(١) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٢) سورة النحل: ٨٩.

(٣) محمد بن يحيى العطار، عن أحمد بن أبي زاهر عن الحسن بن موسى، عن علي بن

→ حسان، عن عبدالرحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: نحن ولادة أمر الله وخزنة علم الله وعبية وحي الله.

علي بن موسى، عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد، ومحمد بن خالد البرقي، عن النضر بن سويد رفعه، عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال: نحن خزائن علم الله ونحن تراجمه وحي الله ونحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة عليهم السلام ولادة أمر الله وخزنة علمه، ح ١-٣).
(٤) أحمد بن مهران، عن محمد بن علي ومحمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد جميعاً عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ما جاء به علي عليه السلام أخذ به وما نهى عنه انتهى عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد عليه السلام ولمحمد عليه السلام الفضل على جميع من خلق الله عز وجل، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراذ عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتي إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأنّمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجّته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى. وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنّة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم لقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا به لمحمد عليه السلام ولقد حملت على مثل حملته وهي حمولة الربّ وأنّ رسول الله عليه السلام يدعى فيكسى وأدعى فأكسى ويستنطق وأستنطق فأنطق على حدّ منطقته، ولقد

إنَّ علم الله سبحانه لا يحصيه حاسب، ولا يحصره كاتب. وهل يكون الخازن جاهلاً بما في الخزانة والعبية؟ وهل هو إلا كناية عن استبداعه تعالى علمه أوعية صدورهم وغياب قلوبهم.

وكيف يحجب الله تعالى علمه عن حجته؟ وكيف تكون تلك الحجة بالغة؟ وليس لديها علم بالحوادث والأعمال، لتكون مخبرة لهم عما يعملون عند الإعجاز والكرامة.

وإنَّ عموم العلم المخزون عندهم شامل لكلِّ أمر من حكم أو موضوع كلي أو جزئي.

الطائفة الثانية:

علمهم بما في السماء والأرض

صرّحت هذه الطائفة من الأحاديث بأنَّ الله سبحانه أجلُّ وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه^(١).

→ أعطيت خصلاً ما سبقني إليها أحد قبلي؛ علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني، أبشر بإذن الله وأؤدّي عنه، كلَّ ذلك من الله مكّنتني فيه بعلمه.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنَّ الأئمّة عليهم السلام أركان الأرض، ح ١).

(١) أحمد بن محمد ومحمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حمّاد عن سيف التمار قال: كنّا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين، فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نرَ أحداً، فقلنا: ليس علينا

وهذه فوق صراحتها بالمطلوب دلّت على أنّ حجب علم السماء والأرض عن الإمام ممّا يستلزم النسبة لله بما ينافي كرمه وجلالة شأنه.
بل لو حجب ذلك العلم عنه لما صحّ لأن يكون مفترض الطاعة. وكيف تكون طاعته مفروضة، وليس لديه علم ما يسأل عنه.

الطائفة الثالثة:

إنّ الأئمة هم الراسخون في العلم والذين أوتوا العلم

نطقت هذه الطائفة من الأحاديث بأنّ الراسخين^(١) في العلم الذين علموا

→ عين، فقال: وربّ الكعبة وربّ البنية - ثلاث مرّات - لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنّبأتهما بما ليس في أيديهما لأنّ موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثته.

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن سنان، عن يونس بن يعقوب، عن الحارث بن المغيرة، وعدّة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة وعبد الله بن بشر الخثعمي سمعوا أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النار ما كان وما يكون، قال: ثمّ مكث هنيئاً فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه منه، فقال: علمتُ ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنّه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم أجمعين. الحديث ١ و ٢).

(١) عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن سعيد، عن النضر بن سويد،

تأويل القرآن، والمقرون علمهم بالتأويل بعلمه جلّ شأنه: هم الأئمة من أهل البيت، وأنهم هم الذين قال الله تعالى عنهم في محكم فرقانه: ﴿ءَايَتُ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ (١). (٢)

كيف ياترى شأو العلم يقرن الجليل تبارك وعلا بعلمه؟ وكيف ياترى شأنهم والله تعالى يخبر عنهم بأنهم الراسخون في العلم، وأنهم أوتوه وأثبت في صدورهم؟. ولو أمكن وصف علمهم بأعلى وأرفع من الحضورى لكان في هذه الأحاديث المفسرة لتلك الآيات الكريمة، مجال لذلك الوصف. وإنما نسمي علمهم بالحاضر لقصورنا عن إدراك وصف أسمى منه، بل ولجهلنا لحقيقة ذلك العلم.

الطائفة الرابعة:

الأئمة معدن العلم ووارثوه

أنبأت هذه الطائفة: بأن الأئمة عليهم السلام شجرة النبوة، وبيت الرحمة، ومعدن العلم،

→ عن أيوب بن أحمد، وعمران بن علي، عن أبي بصير قال: سمعت أبي عبد الله عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعمل تأويله.

الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد، عن محمد بن اورمة، عن علي بن حسان، عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام.

المصدر نفسه: باب الراسخين في العلم هم الأئمة. الحديث ١ و ٢.

(١) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٢) المصدر نفسه: باب أنّ الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم، الحديث ٢ - ٣.

ومختلف الملائكة^(١)، وموضع الرسالة، وورثة العلم يورثه بعضهم بعضاً^(٢).

(١) أحمد بن مهران عن محمد بن علي، عن غير واحد، عن حماد بن عيسى، عن ربيعي بن عبد الله، عن أبي الجارود قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: ما ينقم الناس منا؟ فنحن والله شجرة النبوة وبيت الرحمة ومعدن العلم ومختلف الملائكة». أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسين، عن عبد الله بن محمد عن الخشاب، قال: حدثنا بعض أصحابنا عن خيشمة قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا خيشمة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله، ونحن وديعة الله في عباده، ونحن فرج الله الأكبر، ونحن ذمة الله، ونحن عهد الله، فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، ومن خفرها فقد خفر ذمة الله وعهده».

(أصول الكافي: باب أن الأئمة عليهم السلام معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة، الحديث ١ - ٣).

(٢) علي بن إبراهيم، عن أبيه عن حماد بن عيسى، عن حريز، عن زرارة وفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة وأنه لم يهلك منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ما شاء الله».

محمد، عن أحمد، عن علي بن النعمان رفعه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يمصون النmad ويرعون النهر العظيم، قيل له: وما النهر العظيم؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله والعلم الذي أعطاه الله، إن الله عز وجل جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيين من آدم وهلم جراً إلى محمد صلى الله عليه وآله، قيل له: وما تلك السنن؟ قال: علم النبيين بأسره، وأن رسول

وهل يريد المرء بالإفصاح عن علمهم الحضورى بأجل من هذا البيان وأظهر من هذا المفاد؟ وكيف يكونون معدناً للعلم، ولا علم يحضر هذا المعدن؟ وكيف يتوارثون العلم، والمتوارث شيء غير موجود؟

ولو ادعى أنها تختص بالعلم بالأحكام وموضوعاتها الكلية، فلا نجد مبرراً لهذه الدعوى، واللفظ عام والعموم أليق بتلك المنزلة. ومن يتحلّى بتلك الصفات الشريفة التي أخبرت عن بعضها هذه الأحاديث لا يستغرب من علمه إذا كان حضورياً وحاصلاً لديه في كل حين. ومن يكون مختلفاً للملائكة وموضعاً للرسالة وبيتاً للرحمة وشجرة للنبوة، كيف لا يكون حاضر العلم يدري بما يعمل الناس ويصف لهم ما تنطوي عليه سرائرهم.

الطائفة الخامسة:

الأئمة ورثة النبي ﷺ

نطقت هذه الطائفة بأن الأئمة عليهم السلام ورثة علم النبي ﷺ وأن النبي ﷺ ورث جميع علوم الأنبياء والرسل وأولي العزم^(١).

→ الله ﷻ صرّ ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام و فقال له رجل: يا بن رسول الله فأمر المؤمنين أعلم أم بعض النبيين؟ فقال أبو جعفر: اسمعوا ما يقول!! إن الله يفتح مسامع من يشاء إني حدثته: إن الله جمع لمحمد عليه السلام علم النبيين وأنه جمع ذلك كله عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسألني أهو أعلم أم بعض النبيين».

المصدر نفسه، باب أن الأئمة عليهم السلام ورثة العلم يورث بعضهم بعضاً العلم، الحديث ٢ - ٦.

(١) محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم عن عبد الرحمن بن كثير

فهذه الطائفة أخبرتنا بأن علم العالم كله وصل إليهم، واجتمع عندهم، فكل ما كان للأنبياء والرسل وأوصيائهم من علم فهو قد انتهى إليهم وورثوه منهم. وهل بعد هذا العلم الذي كان عليه كافة الرسل وصار لديهم يبقى مجال لأن يقال بأن علمهم ليس بحاضر، بل حضوره تابع للإشاعة، فإذا لم يكن حاضراً لديهم فأى شيء ورثوه إذاً؟.

→ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إن أول وصي كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم وما من نبي إلا وله وصي، وكان جميع الأنبياء مائة ألف نبي وعشرين ألف نبي منهم خمسة أولوا العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليه السلام، وأن علي بن أبي طالب كان هبة الله لمحمد وورث علم الأوصياء وعلم من كان قبله، أما أن محمداً ورث علم من كان قبله من الأنبياء والمرسلين، على قائمة العرش مكتوب: حمزة أسد الله ورسوله وسيد الشهداء، وفي ذؤابة العرش علي أمير المؤمنين عليه السلام، فهذه حجتنا على من أنكر حقنا وجد ميراثنا، وما منعنا من الكلام وأماننا اليقين فأى حجة تكون أبلغ من هذا؟

محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطاب، عن عبد الله بن محمّد، عن عبد الله بن القاسم، عن زرعة بن محمّد عن المفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن سليمان ورث داود، وأن محمداً ورث سليمان، وإنا ورثنا محمداً، وإن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وتبيان ما في الألواح، قال قلت: إن هذا هو العلم، قال: أليس هذا هو العلم إن العلم الذي يحدث يوماً بعد يوم وساعة بعد ساعة».

(أصول الكافي: باب الأئمة عليهم السلام ورثوا النبي ﷺ وجميع الأنبياء والأوصياء، الحديث ٢).

الطائفة السادسة:

إن لديهم جميع الكتب ويعرفونها على اختلاف ألسنتها

أخبرت هذه الطائفة بأنَّ عند الأئمة عليهم السلام جميع الكتب السماوية، ويطرونها على اختلاف ألسنتها^(١).

إنَّ في الكتب علم الأول والآخر والسالف والحاضر، وعلم الأحكام والحوادث والمنيا والبلايا وكلَّ شيء، فليت شعري هل يقرءون تلك الكتب وهم يجهلون ما يقرءون، أو يعرفون بعضاً وينكرون بعضاً...؟ إنَّ هذا شيء عجاب.

(١) علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم عن يونس، عن هشام بن الحكم في حديث برية أنه لما جاء معه إلى أبي عبد الله عليه السلام فقلبي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبو الحسن عليه السلام لبريه: يا برية كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه، قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل فقال برية: إني كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن برية وحسن إيمانه وآمنت المرأة التي كانت معه، فدخل هشام وبرية والمرأة على أبي عبد الله عليه السلام فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى عليه السلام وبين برية، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ذَرِيَّةُ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضِ اللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» فقال برية: أني لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثته من عندهم نقرأها كما قرأوها ونقولها كما قالوا، إنَّ الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول: لا أدري.

(أصول الكافي: باب أنَّ الأئمة عليهم السلام عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله... إلخ،

الطائفة السابعة:

الأئمة يعلمون الكتاب كله

صرّحت هذه الطائفة من الأحاديث بأن الأئمة يعلمون ما في القرآن المجيد كله^(١)، حتّى قال الصادق عليه السلام: «والله إنّي لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره، كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وخبر ما هو كائن، قال الله عزّ وجلّ ﴿فيه تبيان كل شيء﴾»^(٢).

وهل يطلب الباحث أثراً بعد عين، أفترى أنّه أراد من العلم بكتاب الله الذي فيه تبيان كل شيء، من خبر السماء والأرض، وما كان أو هو كائن، هو العلم بالأحكام أو موضوعاتها لا الحوادث والأعمال، وما وقع أو يقع من شؤون العالم. وهل يجوز ممن لذي علم أو ذوق أن يحمل هذا البيان على ذلك القصد؟ وهل أصرح من

(١) محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن محمد بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس أنّه جمع القرآن كله كما أنزل إلّا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزلّه الله تعالى إلّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام.

(المصدر نفسه: كتاب الحجّة باب أنّه لم يجمع القرآن كله إلّا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله، الحديث ١).

(٢) أصول الكافي: كتاب الحجّة، باب أنّه لم يجمع القرآن كله إلّا الأئمة وأنهم يعلمون علمه كله، الحديث ٤ و ٥.

ولا يخفى أنّه أراد الاستشهاد بمعنى آية دون لفظها والفظها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

هذا البيان بالعلم بشؤون العالم سابقه وحاضرة ولاحقه.

الطائفة الثامنة:

عندهم جميع العلوم

أفصحت هذه الطائفة من الأحاديث عن سعة ذلك العلم الذي كان عند الأئمة الأمناء. فإنها أفادت: أنَّ الله علمين: علم أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله، فما أظهر عليه وملائكته ورسله وأنبياءه فقد علمناه، وعلم استأثر به فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا بذلك^(١).

الله! ما أكبر منازلكم أيها السادة الأوصياء عند رب السماء، وما أرفع مراتبكم أيها الهداة عند خالق الأرض والسموات: فقد رفعكم فوق منازل النبيين، وسما بكم على معارج المرسلين، حتى أطلعكم على ما استأثر به من العلم، واختصكم بما لم يظهر عليه أولي العزم من رسله... ولا أدري ما وراء هذا يراد من الحضورى؟ ولأني شيء بعد هذه الصراحة يصار إلى الاثنائي؟.

(١) على بن محمد ومحمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن الحسن بن شمعون، عن عبدالله بن عبدالرحمن عن عبدالله بن القاسم، عن سماعة، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى علمين: علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله فما أظهر عليه ملائكته ورسله وأنبياءه، فقد علمناه وعلماً استأثر به فإذا بدا الله في شيء منه أعلمنا ذلك وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا.

(أصول الكافي، باب إن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسول، ح ١).

الطائفة التاسعة:

يعلمون حتّى بإنقلاب جناح الطائر

بيّنت هذه الطائفة من الأحاديث بأنّه ما ينقلب جناح طائر في الهواء إلّا وعند الأئمة علم منه^(١).

أوليس هذا صريحاً في شمول عليهم حتّى للجزئي من الحوادث، ووقوفهم على كلّ ما يقع ويكون، فوق ما وقع وكان.

الطائفة العاشرة:

إنّ الأئمة الشهداء على الناس

نظمت الأخبار العديدة بأنّ النّبي والأئمة عليهم السلام يكونون الشهداء على الناس يوم العرض والحساب^(٢). أتري يكون أحد شهيداً على أحد، وهو لا يعلم ما اقترف،

(١) وبهذا الاسناد قال قال رسول الله ﷺ: ما ينقلب جناح حائر في الهواء إلّا وعندنا فيه علم.

(كتاب عيون الأخبار الرضا عليه السلام: ٢٦).

(٢) الحسين بن محمّد عن معلى بن محمّد عن الحسن بن علي الوشاء عن أحمد بن عائذ عن عمر بن أذينة عن بريد العجلي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ قال: نحن الأئمة الوسطى ونحن شهداء الله على خلقه وحججه في أرضه، قلت: قول الله عزّ وجلّ: ﴿مِثْلَ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: إيتانا عنى خاصّة ﴿هُوَ سَمَنُكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ في الكتب التي

ويخبر عما كان عليه وهو لا يدري ما عمل؟

هذا كله وهو بعض ما نطقت به الأحاديث وصرحت به الأخبار، إذ ليس الغرض الإستيفاء والإستقصاء، بل القصد عرفان ما كانوا عليه من ذلك العلم الزاخر. وإن كنا نجهل ما اتصفوا به، غير أننا تستظهر شيئاً أنبأت عنه أحاديثهم، ودلتنا عليه أعمالهم.

→ مضت ﴿وَفِي هَذَا﴾ القرآن ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ فرسول الله ﷺ الشهيد علينا بما بلغنا عن الله عز وجل ونحن الشهداء على الناس، فمن صدق صدقناه يوم القيامة ومن كذب كذبنا يوم القيامة.

علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني عن سليم بن قيس الملالي عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: إِنَّ الله تبارك وتعالى ظهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وجعلنا مع القرآن وجعل القرآن معنا لا يفارقه ولا يفارقنا.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب في إن الأئمة شهداء الله عز وجل على خلقه، ح ٢ و ٥).

منابع علمہم

هناك أحاديث أخرى تشير إلى بعض المنابع التي يستقون منها غامر علمهم، ومنها يستفاد أن ذلك العلم المستقى لا بد وأن يكون حاضراً لديهم في كل آن، وحاصلاً عندهم في كل زمان، وهي على طوائف تشير إلى بعض منها:

أولاهن:

إنّ عندهم الإسم الأعظم

إنّ الإسم الأعظم على ما أعبرت عنه الأحاديث، على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّ الذين عندهم منه اثنان وسبعون حرفاً!، وحرف واحد استأثر به الجليل تعالى. وما كان عند «أصف» إلا حرف واحد منه، وقد أحضر به عرش بلقيس بأسرع من طرفة عين. وكان آدم عليه السلام أكثر الأنبياء عليه السلام حظوة به، وما كان عنده إلا خمسة وعشرون حرفاً^(١).

(١) محمد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمد بن علي بن الحكم عن محمد بن فضيل قال: أخبرني شريس الواشبي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وإنّما كان عند أصف منها حرف واحد فتكلّم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس حتّى تناول السرير بيده ثمّ عادت الأرض كما كانت أسرع

إنّا وإن لم ندر ما الإسم الأعظم؟ وكيف يكون على ثلاثة وسبعين حرفاً؟ إلّا أنّنا نفهم من هذا البيان خطر شأنهم وكبر مقامهم وسعة علمهم حتّى أنّ الله سبحانه سمّى ذلك الحرف الذي كان عند «أصف» علماً من الكتاب، فكيف بمن كان لديه جميع حروفه؟.

ثانيهن:

إنّ عندهم آيات الأنبياء ﷺ

ومن تلك المصادر لعلوم الأئمة الفياضة وقدرتهم الباهرة، آيات الأنبياء كألواح موسى وعصاه وخاتم سليمان، إلى ما سواها^(١).

→ من طرفة العين، لكن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم.

محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالد عن زكريّا بن عمران القميّ عن هارون بن الجهم عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام لم أحفظ اسمه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأُعطي موسى أربعة أحرف، وأُعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأُعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأُعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وأنّ الله تعالى جمع ذلك كلّهُ لمحمّد عليه السلام، وأنّ اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى محمّد عليه السلام اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرف واحد.

(أصول الكافي: كتاب الحجّة، باب ما أُعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم، الحديث ١ -

(١) محمّد بن يحيى عن سلمة بن الخطّاب، عن عبد الله بن محمّد عن منيع بن الحجاج

وهذا ما يعرفنا بأن الأنمة مُنحوا من العلم والفضل والقدرة ما يعجز عن وصفه البيان، حتّى كان لديهم جميع كتب الأنبياء وعلومهم وآياتهم فأَيّ وجه بعد هذا للتردد فيما كان لديهم من العلم، ومقدار ذلك الغامر منه؟

الثّهن:

ما عندهم من الجفر والجامعة ومصحف فاطمة وما يحدث

بالليل والنهار

وهذه إحدى المنابع لعلومهم الزاخرة، وقد أنبأت هذه الطائفة عن بيان هذه المنابع. فإنّ أبا بصير يقول: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك: إنّي

→ البصري عن مجاشع عن معلى عن محمّد بن الفيض عن أبي جعفر قال: كانت عصا موسى لآدم عليه السلام فصارت إلى شعيب ثمّ صارت إلى موسى بن عمران، وأنها لعنّنا وأنّ عهدي بها آنفاً وهي خضراً كهيتها حين انتزعت من شجرتها وأنها لتنطق إذا استنطقت، أعدت لقائنا عليه السلام يصنع بها ما كان يصنع موسى، وأنها لتروع وتلقف ما يأفكون وتصنع ما تؤمر به، إنها حيث أقبلت تلقف ما يأفكون، يفتح لها شعبتان إحداها في الأرض والأخرى في السقف وبينهما أربعون ذراعاً تلقف ما يأفكون بلسانها.

محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين عن موسى بن سعدان عن أبي الحسن الأسدي عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة بعد عتمة ويقول: هممة هممة وليلة مظلمة خرج عليكم الإمام عليه قميص آدم وفي يده خاتم سليمان وعصا موسى عليه السلام.

(أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب عندهم من آيات الأنبياء عليهم السلام، ح ١ و ٤).

أسألك عن مسألة. ها هنا أحد يسمع كلامي؟ فرفع أبو عبدالله ستراً بينه وبين بيت آخر فأطلع فيه، ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدالك.

قال: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله ﷺ علم علياً عليه السلام ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب؟

فقال أبو عبدالله: يا أبا محمد علم رسول الله ﷺ علياً عليه السلام ألف باب يفتح له من كل باب ألف باب.

قال أبو بصير فقلت: هذا والله العلم.

ثم أن الصادق عليه السلام لما رأى استعظام أبي بصير هذا المنبع العزيز صار ينبئه بأن لهم منابع أخرى أغزر مادةً وأصح فيضاً، فذكر له أن عندهم الجامعة، وإنها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ وإملانه من فرق فيه وخطأ علي يمينه، فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج إليه الناس، حتى الأرض في الخدش.

ثم ذكر: إن عندهم الجفر، وأنه وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل.

ثم ذكر أن عندهم مصحف فاطمة، وأنه مثل القرآن ثلاث مرّات ثم قال عليه السلام: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة.

وفي كل هذا يقول أبو بصير مبتهراً ومستعظماً: هذا والله العلم، والصادق عليه السلام يقول: إنه لعلم وليس بذلك.

فقال له أبو بصير: جعلت فداك فأني شيء العلم؟

قال عليه السلام: ما يحدث بالليل والنهار، الأمر بعد الأمر، والشيء بعد الشيء، إلى يوم القيامة^(١).

(١) ولا يخفى أنه أراد المصنف أنه الاستشهاد بمعنى الرواية دون لفظها، ولفظها: عدّة من

→ أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن عبد الله (بن) الحجاج عن أحمد بن عمر الحلبي عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إني أسألك عن مسألة ههنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام سترًا وبين بيت آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عما بدا لك، قال: قلت: جعلت فداك إن شيعتك يتحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وآله علم عليًا عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علم رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا عليه السلام ألف باب يفتح من كل باب ألف باب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال فنكت ساعة في الأرض قال: قلت: ثم قال: يا أبا محمد وأن عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله وإملائه من خلق فيه وخط عليّ بيمينه فيها كل حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرض في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن إلي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتى أرض هذا كأنه مغضب، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه العلم وليس بذلك، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا الجفر وما يدرهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجعفر؟ قال: وعاء من آدم فيه علم النبيين والوصيين وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذلك، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليها السلام، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، قال جعلت فداك هذا

إننا وإن لم ندرك حقيقة هذه المنابع، وقدر هذه المواد، إلا أننا نفهم من هذا البيان أنهم رزقوا من العلم ما لا مزيد عليه إلى ما شاء الله جلّ شأنه، وأنه لو يسمح لنا البيان بأن نعرفه بأكثر من الحضورى، وأوسع من الحصولى، لو سمناه به.

وهل بعد هذا يصحّ أن يقال في علمهم: إنه مبنيّ على الإشاعة، وموقوف على الإرادة؟ وأما إشرافه عليه على البيت ورفع الستر في هذه الرواية لا يعلم هل فيه أحد، فيكون منافياً للحضورى، بل ليطمئن أبو بصير بخلو البيت من السامع.

ولقد أوجزنا بنقل الأحاديث التي دلت على سعة علومهم، وحضورها لديهم، لأننا لا نريد استقصاء ما جاء عنهم في هذا الباب، فإن الغرض الأوحد أن نعرف ما كانوا عليه من العلم، ولا نعرفه عن طريق النقل، إلا بما عرّفوه لنا وأبانوه من ذلك المكنون في أوعية صدورهم.

وبما أوردناه يحصل الغرض المطلوب والضالة المنشودة. وإن كان ما أوردناه قطرة من غيث وغرقة من بحر، مما جاء عنهم في ذلك من الأخبار، وظهر من الآثار.

→ والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، قال قلت: جعلت فداك فأَيّ شيء العلم؟ قال:

ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة.

(أصول الكافي: كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة،

الأدلة النقلية المعارضة

ربما يقال بأن هناك أدلة يستفاد منها تضيق تلك الدائرة الواسعة المزعومة، وحصرها في مجال دون ذلك المجال المفروض. وهو أن علمهم، وإن كان زاحر العباب بعيد القطر. إلا أنه لم يكن حاضراً لديهم، حاصلاً عندهم. ساعة بساعة وحيناً بحين. وإنما يكون حضوره بالأمر إذا شاءوا علم ذلك الأمر. وحصوله بالشيء إذا أرادوا أن يعلموا ذلك الشيء، ولم يكن العلم منهم سابقاً على الإشاء. حاضراً قبل الإرادة. وعليه الكتاب والسنة.

الكتاب

ما دلّ من الكتاب على إن علمهم ليس بحاضر

إن من تدبر الكتاب المجيد، واستقصى سورة، وجد فيه آيات عديدة تدل على إن نبيّنّا ﷺ، بل والأنبياء ﷺ كافة لا يعلمون الغيب. وليس لهم من العلم إلا ما علمهم العلام جلّ شأنه.

والأئمة من أهل البيت ﷺ ليسوا بأولى من النبيّ بذلك. إذ أقصى ما نقول في علمهم أنه ورثوه عن النبيّ ﷺ. وأنه انتهى إليهم ما كان يعلمه ﷺ من جميع العلوم. فمن تلك الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١) فهذه الآية صريحة الدلالة بأن علم الغيب منحصر به سبحانه، ولا يعلمه أحد من خلقه، وعمومها يشمل حتى الأنبياء والأوصياء.

ومن تلك الآيات البيّنات قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ

إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿١﴾.

فهذه وإن دلت على أنه تعالى يجوز أن يشرف عباده على علمه. إلا أنها دلت على إن العباد قاصرون عن الإحاطة بعلمه. ولو كان علمهم حاضراً لأحاطوا بعلمه سبحانه.

ومنها قوله تعالى شأنه: ﴿سَنُقَرِّكَ فَلَا تَنْسَى﴾ (٢) فقد دلت هذه الآية الكريمة على أن النسيان سائغ عروضه على النبي ﷺ ولو كان حاضر العلم لما جاز نسيانه، ولا إحتاج إلى لفته، بأن يكون متنبهاً لما يقرأ عليه حتى لا ينسى.

ومنها قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٣) لهذه الآية صريحة بإحصار علم الغيب بالله جل شأنه. ولو كانوا حاضري العلم لاشتركوا معه سبحانه بهذه الصفة، بل إن النبي نفسه يعترف بأنه لا يعلم الغيب، كما حكى عنه تعالى ذلك في قوله تبارك وعز: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ (٤)... وهل بعد هاتين الآيتين من شبهة في إن علم الغيب منحصر به تعالى، وأن علمهم ليس بحاضر؟

ومنها قوله عز شأنه: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِثْقَابِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ (٥).

وأي دلالة أصرح من دلالة هذه الآية المباركة بأن علم النبي ﷺ لم يكن

(١) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٢) سورة الأعلى: ٦.

(٣) سورة النمل: ٦٥.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٨.

(٥) سورة التوبة: ١٠١.

حاضراً بالأشياء، ولو كان حاضراً لأخبر تعالى عنه، بأنه كان يعلم بنفاق أولئك الأعراب وبعض أهل المدينة.

فهذه الآيات الكريمة وغيرها من آي الكتاب العزيز صريحة بأن النبي ﷺ كان لا يعلم الغيب. فكيف إذا شأن الأنمة الأطهار فيه، وبما أوردناه من الآيات البيّنة كفاية في الدلالة على القصد.

ولا حاجة بنا إلى إيراد شيء من الكتاب الكريم سواها.

«الجواب عنها»

إننا لا نريد أن نثبت بأن علمهم ذاتي، لا يحتاج إلى المعلم حتى العلامة تعالى، بل إن علمهم كان بلطف منه جلّ شأنه، وتعليم من لدنه جلّ ذكره. فهذا لا يأبى من أنهم لا يعلمون بالذات: الغيب ولا غيره، فهذه الآيات الكريمة لا تعارض تلك الآيات التي صرّحت بأن الله تعالى وإن استأثر بعلم الغيب إلّا أنّه إذا شاء أظهر عليه من ارتضاه من الرسل، وأنّ رسولنا ﷺ - كما في الأحاديث - ممّن إرتضاه الله سبحانه. على أنّ هذه الآيات نفسها دلت على هذا المفاد، كما في قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(١) فإنّ هذا الاستثناء كاف في الدلالة على إ شاءته تعالى لأن يحيطوا بشيء من علمه.

وهذه الطائفة محمولة على استثنائه بالعلم الذاتي. وأما من أطلعه على ذلك العلم - كما دلت عليه تلك الآيات - فذلك العلم محمول على العرضي، بل إننا لا نريد أن نثبت بما سلف أنّ لديهم كلّ ما يعلمه الجليل سبحانه، ولا تلازم بين علمهم الحضورى وأنهم يعلمون كلّ ما يعلمه العلم سبحانه؛ فيجوز حينئذ أن نحمل ما دل على نفي علمهم وما دل على استثنائه بشيء على اختصاص ذلك بما تخصص به،

ولم يطلع عليه أحداً من البشر؛ ويشهد له ما جاء في الأحاديث التي قالت بأنَّ الإسم الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً وأنَّ عندهم منه إثنين وسبعين، وأنَّ الجليل تعالى استأثر بحرف واحد. فهذا يدلُّ على أنَّه اختصَّ بشي لم يطلعهم عليه.

على أنَّه قد يقال في الجواب إنَّ هذه الآيات وما سواها، مما دل بظاهره على أنَّ الأنبياء كانوا لا يعلمون، ولا سيما مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾^(١) وقوله جلَّ شأنه: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(٢)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾^(٣) وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٤) وقوله سبحانه: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾^(٥) إلى غيرها محمولة على أنَّ المراد بها الأمة من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

بل يمكن الجواب عن كلِّ آية آية. ولكن لا نريد الإطالة في الجواب، والإكثار من الكلام. ولو لم يمكن التوفيق بين هاتين الطائفتين من الآيات الكريمة، فلا بدَّ من التصرف في ظاهر هذه الطائفة خاصة، لأنَّ حكم العقل قاض بأنَّ الإمام لا بدَّ وأن يكون علمه حضورياً كما أنَّه لا يمكن التصرف في صريح هاتيك الآيات.

(١) سورة القدر: ٢.

(٢) سورة الحاقة: ٣.

(٣) سورة الانفطار: ١٧.

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة التوبة: ١٠١.

الأخبار النافية للأخبار الدالة على الحضور

أما الأخبار التي دلت على أنَّ علمهم ليس بحاضر، فهي كثيرة جداً، لا يسع المقام استيفائها، وهانحن نشير إلى طرف منها في طيّ طوائف.

الطائفة الأولى:

كانوا لا يعلمون الغيب

هناك طائفة من الأحاديث صرّحت بأنَّ الأنمة لا يعلمون الغيب، حتّى أنَّ أبا عبد الله عليه السلام خرج يوماً وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه، قال: «يا عجباً لأقوام يزعمون إنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزَّ وجلَّ لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني، فلما علمت في أي بيوت الدار هي»^(١).

(١) ولا يخفى أنَّه أراد الشيخ أنَّه الاستشهاد بمعنى الرواية دن لفظها، ولفظها: أحمد بن محمد عن محمد بن الحسن، عن عبّاد بن سليمان عن محمد بن سليمان عن أبيه عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البرّاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون إنّا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلّا الله عزَّ وجلَّ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي؟ قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله ودخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك ونحن نعلم أنَّك تعلم علماً كثيراً ولا تنسبك إلى علم الغيب قال: فقال: يا

وهذه - كما ترى - صريحة بأنهم كانوا لا يعلمون الغيب، ولم يكن علمهم بالأشياء حاضراً لديهم. ولو كانوا حاضري العلم دوماً، والأمور منكشفة لهم أبداً، لما خفي عليه هرب الجارية، ومكانها من بيوت الدار.

الطائفة الثانية:

سهو النبي والأئمة

وهناك طائفة كبيرة من الأحاديث صرحت بسهو النبي ﷺ حتى أنه صلى الظهر خمس ركعات^(١)، ومرة صلاها ركعتين^(٢)! وإنَّ علياً عليه السلام صلى بغير طهر، فأخرج

→ سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرَفُكَ﴾، قال قلت: جعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عند من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به، قلت: جعلت فداك ما أقل هذا، فقال: يا سدير ما أكثر هذا أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضاً: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كله، قال: فأوماً بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا.

(أصول الكافي: كتاب الحجّة باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٣).

(١) سعد عن أبي الجوزاء عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر خمس ركعات ثم انفتل فقال له

→ بعض القوم: يا رسول الله هل زيد في الصلاة شيء؟ فقال: وما ذاك؟ قال: صليت بنا خمس ركعات قال: فاستقبل القبلة وكبر وهو جالس ثم سجد سجدتين ليس فيهما قراءة ولا ركوع ثم سلم وكان يقول: هما المرغمتان. قال محمد بن الحسن: هذا خبر شاذ لا يعمل لأنها قد بينا أن من زاد في الصلاة وعلم ذلك يجب عليه استئناف الصلاة وإذا شك في الزيادة فإنه يسجد السجدتين المرغمتين، ويجوز أن يكون عليه السلام إنما فعل ذلك لأن قول واحد له لم يكن مما يقطع به، ويجوز أن يكون كان غلطاً منه وإنما سجد السجدتين احتياطاً. تهذيب الأحكام باب أحكام السهوج ٣٧.

(٢) عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي، فصلّى بنا ركعتين، ثم سلم فقام خشبة معروفة في المسجد، فاتكأ عليهما كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه الأيسر، وخرجت السراجان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول يقال له: ذو اليمين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال: لم أنس ولم تقصر، فقال: أكما يقول ذو اليمين؟ فقالوا: نعم، فتقدم فصلّى ما ترك». صحيح البخاري الحديث ٤٨٢. ويلاحظ: أن أبا هريرة يعطى معلومات مفصلة ودقيقة لتصرفات النبي ﷺ والحاضرين آنذاك، ليؤكد بذلك أنه حضر الواقعة وشاهدها عياناً. إلا أن الواقع التاريخي المتيقن يحتم ردّ هذه الرواية؛ لأنه يثبت أن ذا اليمين قد استشهد في معركة بدر قبل إسلام أبي هريرة بخمس سنوات. ذلك «أن ذا اليمين المذكور في الحديث إنما هو ذو الشمالين ابن عبد عمرو حليف بني زهرة، وقد استشهد في بدر، نص على ذلك إمام

مناديه يعلم الناس بذلك^(١)! وحتى أن الرضا عليه السلام - كما في عيون الأخبار - لعن الذين لا يقولون بسهو النبي ﷺ، ونسبهم إلى الغلو^(٢)، وأن الصادق عليه السلام - كما في آخر السرائر -

→ بني زهرة واعرف الناس بحلفائهم محمد بن مسلم الزهري، كما في الاستيعاب والاصابة وشروح الصحيحين كافة وهذا هو الذي صرح به الثوري - في أصح الروايتين عنه - وأبو حنيفة حين تركوا العمل بهذا الحديث وافتوا بخلافه...

(١) فأما ما رواه علي بن الحكم عن عبد الرحمن العرزمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صلى علي عليه السلام بالناس على غير ظهر وكانت الظهر فخرج مناديه أن أمير المؤمنين عليه السلام صلى على غير ظهر فاعيدوا وليبلغ الشاهد الغائب. قال صاحب الاستبصار فيما اختلف من الأخبار فهذا خبر شاذ مخالف للأحاديث وما هذا حكمة ولا يعمل عليه، وقد تضمن أيضاً من الفساد ما يقدر في صحته وهو أن أمير المؤمنين عليه السلام صلى بالناس على غير وضوء وقد أمتنا من ذلك دلالة عصمته عليه السلام وذكر محمد بن علي بن الحسن ابن بابويه قال: سمعت جماعة من مشايخنا يقولون: ليس عليهم إعادة شيء مما جهر فيه وعليهم إعادة ما مضى بهم مما لم يجر فيه. الاستبصار فيما اختلف من الأخبار باب من صلى بقوم على غير وضوء ح ٥.

(٢) حدثنا تميم بن عبد الله بن تميم القرشي قال: حدثني أبي عن أحمد بن علي الأنصاري عن أبي الصلت الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله أن في سواد الكوفي قوماً يزعمون أن النبي ﷺ لم يقع عليه السهو في صلاته، فقال: كذبوا لعنهم الله أن الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو قال: قلت يا بن رسول الله ﷺ وفيهم قوماً يزعمون أن الحسين بن علي عليه السلام لم يقتل وأنه القي شبهه على حنظلة بن الشامى وأنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام ويحتجون بهذه الآية: ﴿ولن يجعل الله للكافرين

قال: «ربما أقعدت الخادم خلفي يحفظ صلواتي»^(١).

وهل يتطلب الباحث إلى أكثر من هذا التصريح... فإن علمهم لو كان حاضراً لكان بأفعالهم أجدر؛ فكيف يقع منهم السهو، وهم يعلمون كل شيء من أفعال العباد، أفلا علموا بأفعالهم حتى يتحرزوا من السهو في أفضلها، وهو الصلاة.

الطائفة الثالثة:

نوم النبي عن الصلاة الصبح

→ على المؤمنين سبيلاً سورة النساء الآية ١٤١. قال: كذبوا عليهم غضب الله ولعنته وكفروا بتكذيبهم لنبي الله ﷺ في أخباره بأن الحسين بن علي عليه السلام سيقتل والله لقد قتل الحسين عليه السلام وقتل من كان خيراً من الحسين أمير المؤمنين والحسين بن علي عليه السلام وما منا إلا مقتول واني والله لمقتول بالسلم باغتيال من يقتالني اعرف ذلك بعهد معهود اني من رسول الله ﷺ أخبره به جبرئيل عن رب العالمين عز وجل وأما قول الله عز وجل: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ فإنه يقول: لن يجعل الله للكافر على مؤمن حجة ولقد أخبر الله عز وجل عنه كفار قتلوا النبيين بغير الحق ومع قتلهم إياهم أن يجعل لهم على أنبيائه عليهم السلام سبيلاً من طريق الحجة. عيون أخبار الرضا عليه السلام باب ما جاء عن الرضا عليه السلام في وجه دلائل الأئمة عليهم السلام. والرد على الغلاة والمفوضة.

(١) محمد بن إدريس في آخر (السرائر) نقلاً من كتاب محمد بن علي بن محبوب، عن العباس، عن حماد بن عيسى، عن ربعي بن عبدالله، عن الفضيل قال: ذكرت لأبي عبدالله عليه السلام السهو، فقال: وينعلت من ذلك أحد؟ ربما أقعدت الخادم خلفي يحفظ علي صلواتي. مستطرفات السرائر: ٦٨/١١٠.

لقد جاء في الأخبار الصحيحة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نام عن صلاة الصبح حتى أيقظه حر الشمس. وعَلَّلَ هذا النوم بأنَّ الله عزَّ وجلَّ فعله بنبيِّه ﷺ رحمةً بالناس. لئلاَّ يعيرُ النائم عن الصلاة^(١).

وهل بعد هذا التصريح من وجه للقول بأنَّ علمهم كان حاضراً. والأمر لديهم كان متجلياً. وأين كانوا من نومهم إلى أن تطلع الشمس؟ أفلا كانوا على علم منه^(٢).

- (١) روى الحسن بن محبوب عن الرباطي عن سعيد الأعرج قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: (إن الله تبارك وتعالى أنام رسول الله ﷺ عن صلاة الفجر حتى طلعت الشمس ثم قام فبدأ فصلى الركعتين اللتين قبل الفجر ثم صلى الفجر، وأسأها في صلاة فسلم في ركعتين ثم وصف ما قاله ذو الشمالين ولما فعل ذلك به رحمه لهذه الأمة لئلا يعير الرجل المسلم إذا هو نام عن صلاته أو سها فيها فيقال قد أصاب ذلك رسول الله ﷺ).
- (٢) الكلام في مسألة سهو النبي ﷺ مبسوط في كتب المقالات والكلام ومذهب الشيعة في ذلك نفى عنه ﷺ واجما عليهم على ذلك إلا من شذ كالصدوق وشيخه، وقد كتب في ردهما ونفد ما استند اليه من أخبار آحاد لا توجب علماً ولا عملاً كثير من علمائنا الأعلام وفي مقدمتهم الشيخ المفيد ﷺ والسيد المرتضى وقد كتب أحدهما رسالة مفردة في الرد على الصدوق في هذه المسألة وقد أدرجها بتمامها الحجة المجلسي ﷺ في البحار ج ٦ ص ٢٩٧ كما أنه قد فصل الكلام في المسألة واطنب في بيان شذوذ تلك الأخبار التي استند اليها القائلون بالسهو فراجع البحار ج ٢ ص ٢٨ الى ٢٩٩ وكذلك الحجة السيد عبد الله شبر ﷺ في كتاب حق اليقين ج ١ ص ٩٣ ومصابيح الأنوار ج ٢ ص ١٣٣ ولم يختصر رد الصدوق في هذه المسألة على الكتب الكلامية فحسب بل تجدوه في الكتب الفقهية فراجع.

الطائفة الرابعة:

متى شاء الإمام أن يعلم أعلمه الله تعالى

وهذه الطائفة من الأحاديث اشتملت على نصوص عديدة، وكلها مفصحة وقائلة: بأنَّ الإمام متى شاء أن يعلم شيئاً أعلمه الله سبحانه ذلك^(١). وهذه الطائفة يمكن أن تكون الحدّ المعتدل والتمركة الوسطى، وعندها اجتماع ما اختلف من الأدلة، وائتلاف ما افترق من الأحاديث، فتحمل تلك الطوائف على أنَّ علمهم يكون حاضراً إذا شاءوا، وحاصلاً إذا أرادوا، ولا يكون حضوره دوماً، وحصوله أبداً، بل إنَّ تجلي الأمور وانكشاف الأشياء، عند الإشاءة منهم والإرادة لها. ومن ثمَّ يتضح أنَّ ما ظهر منهم من الأقوال والأفعال التي أفصحت عن العلم الحاضر عندهم، والأمر المتجلي لهم، محمول على أنَّهم أرادوا علم ذلك الشيء، فأطلعهم تعالى على علمه، فأظهروه بعد تلك الإشاءة.

(١) علي بن محمد وغيره، عن السهل بن زياد، عن أيوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن بدر بن الوليد، عن أبي الربيع الشامي، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الإمام إذا شاء أن يعلم علم (علم). محمد بن يحيى، عن عمران، عن موسى بن جعفر، عن عمرو بن سعيد المدائني، عن أبي عبيد المدائني، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أراد الامام أن يعلم شيئاً أعلمه الله ذلك.

(أصول الكافي كتاب الحجة باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاؤوا أن يعلموا علموا. ح ١ - ٣).

المؤيدات لهذا الجمع

الأول:

استمرارهم عملاً وقولاً على عدم الحضور

إنّ الذي يؤيد هذا الجمع استمرارهم في الأعمال والأقوال على أن ليس لديهم علم حاضر، ولا أمر منكشف. ولو كانت الأمور متجليه لهم لما رفع الصادق عليه السلام الستر ليعلم هل في البيت أحد يسمع^(١)، ولما بقيت لمعة في ظهر الباقر عليه السلام لم يصل

(١) عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن عبد الله (بن) الحجّان عن أحمد بن عمر الحلبي، عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: جعلت فداك إنّي أسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع كلامي؟ قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام ستراً بينه وبين آخر فأطلع فيه ثم قال: يا أبا محمد سل عمّا بدالك، قال: قلت: جعلت فداك إنّ شيعتك يتحدّثون أنّ رسول الله ﷺ علّم عليّاً عليه السلام باباً يفتح له منه ألف باب؟ قال: فقال: يا أبا محمد علّم رسول الله ﷺ عليّاً عليه السلام ألف باب يفتح من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: ثم قال: يا أبا محمد وأنّ عندنا الجامعة وما يدرهم ما الجامعة؟ قال: قلت: جعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفة فيها كلّ حلالٍ وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرض في الخدش، وضرب بيده إليّ وقال: تأذن إليّ يا أبا محمد؟ قال: قلت: جعلت فداك إنّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتّى أرش هذا كأنّه مفضّب، قال: قلت: هذا والله العلم. قال: إنّّه العلم وليس بذلك، ثم سكت ساعة ثم قال: وإنّ عندنا الجفر وما يدرهم ما الجفر؟ قال: قلت: وما الجعفر؟ قال: وعاء من آدم فيه علم

إليها الماء عندما اغتسل^(١)، ولما أكل الكاظم عليه السلام بيضة قامر بها مولى له. فلما علم بذلك تقياها^(٢).

→ النبيين والوصيين و علم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل، قال: قلت: إن هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، ثم سكت ساعة ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليه السلام وما يدرهم ما مصحف فاطمة عليه السلام، قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرّات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذلك، ثم سكت ساعة ثم قال: إن عندنا علم ما كان وعلم ما يكون إلى أن تقوم الساعة، قال قلت: جعلت فداك هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك، قال قلت: جعلت فداك فأَيُّ شيء العلم؟ قال: ما يحدث بالليل والنهار الأمر بعد الأمر والشيء بعد الشيء إلى يوم القيامة.

(أصول الكافي: كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة، ح ١، وسائل الشيعة ج ١٩ ص ٢٧٢).

(١) محمد بن يعقوب، عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن فضالة، عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اغتسل أبي من الجنابة فقل له: قد أبقيت لمعة في ظهرك لم يصلها الماء فقال له: ما كان عليك لو سكت؟ ثم مسح تلك اللّمة بيده. وسائل الشيعة كتاب الطهارة باب عدم وجوب أعلام الغير بخلل في الغسل، وحكم من نسي بعض العضو أو شك فيه.

(٢) وعنهم، عن سهل بن زياد وأحمد بن محمد جميعاً، عن ابن محبوب، عن يونس بن يعقوب، عن عبد الحميد بن سعيد قال: بعث أبو الحسن عليه السلام غلاماً يشتري له بيضاً؛ فأخذ الغلام بيضة أو بيضتين فقامر بها، فلما أتى به أكله، فقال له: إن فيه من القمار،

الثاني:

إقدامهم على القتل وشرب السمِّ

ومما يؤيد أنَّ علمهم ليس بحاضر دوماً، أنَّهم كانوا يقدمون على القتل وشرب السمِّ، ولو كانوا عالمين بالحال قبل الوقوع في تلك الحبال، لكان من الإلقاء للنفس في التهلكة. وهم أجلُّ شأنًا وأعلى منزلة من أن يقدموا على هذا الإلقاء.

الثالث:

الغلو^(١)

→ قال: فدعا بطشت فتقيأ فقاها.

وسائل الشيعة، الباب ٣٥، تحريم كسب القمام حتَّى الكعاب والجوز والبيض، ح ٢.

(١) الغلو في اللغة يقول ابن منظور: «وفي التهذيب: قال بعضهم: غلوت في الأمر غلوًا، وغلانية إذا جاوزت فيه الجدَّ، وافرطت فيه.. وغلا في الدِّين، والأمر يغلو غُلُوًا: جاز وحدّه» لسان العرب، ابن منظور، مادة «غلا». أمّا في الاصطلاح فقال الشهرستاني: «الغلاة اسم على أولئك الذين غلوا في حقِّ ائمتهم حتّى أخرجوهم عن حدود الخليقة، وحكموا فيهم بأحكام الالهية، فربّما تشبّهوا واحدًا من الأئمة عليهم السلام بالاله، وربّما شبّوا الإله بالخلق. وهم على طرفي الغلو والتقصير، وإنّما نشأت شبهاتهم عن مذاهب الحلوليّة، ومذاهب التناسخيّة، ومذاهب اليهود والنصارى، إذ اليهود شبّوه الخالق بالخلق، والنصارى شبّهن الخلق بالخالق، فسرت هذه الشبهات في أذهان الشيعة الغلاة، حتّى حكمت بأحكام الالهية في حقِّ بعض الأئمة عليهم السلام». الملل والنحل، أبو الفتح محمد الشهرستاني.

إننا لو اعتقدنا بأنَّ النَّبي والأنمة ﷺ حاضرو العلم بالأشياء كافة. ما سبق منها وما هو آت إلى يوم الحشر. بل حتَّى بما هو في السماء من خبر. وبما بعد يوم القيامة من أثر. الأمر الذي يقف عنده اللبيب مبهوراً. ويبقى لديه العارف مذهولاً، ولأمكن أن يقال بأنَّ هذا الاعتقاد غلو فيهم. وخروج عن النمرقة الوسطى في الاعتقاد بهم. ولكن لو قلنا بأنَّ علمهم وحضوره راجع إلى الإرشاد منهم. فإذا شاءوا أعلمهم تعالى بما أرادوا علمه لم يكن ذلك غلوّاً. ولا خروجاً عن الحد المعتدل.

الجواب عن الأوّل

قد بينا في مقدمات هذه الرسالة الفرق بين علمه تعالى وعلمهم^(١)، وأنَّ علمه تعالى عين ذاته، وأنَّ علمهم صفة خارجة عن الذات زائدة عليها وأنه موهوب منه جلّ شأنه، وهذا لا ينافي أنّهم لا يعلمون الغيب بالذات بل إنّما يعلمونه بالتعليم والمنحة منه تعالى.

على أنَّ التخصيص للكتاب بالسنة جائز ووارد. وقد جاء في المقام قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾^(٢) وكان والله محمّد مَن ارتضاه فالرواية بعد التخصيص^(٣) شاهد على أنَّ النَّبي كان يعلم الغيب بما أعلمه الله عزَّ وجلَّ.

(١) راجع صفحة ٢٠.

(٢) سورة الجن: ٢٧.

(٣) التخصيص وهو: عبارة عن اخراج بعض أفراد موضوع الحكم العام بواسطة القرينة الدالة على ذلك، فلولا القرينة لكان الحكم العام الواقع على الطبيعة شاملاً لتلك الأفراد. فالتخصيص كالتقييد، غايته أن التخصيص يطلق في حالات إخراج بعض أفراد موضوع الحكم العام والذي ثبت عموميه بواسطة الوضع. المعجم الأصولي ج ١

وأما حادثة الجارية، وتظاهره عليه السلام بأنه لا يعلم أين هي من بيوت الدار، وإنكاره على من يقول بأنهم يعلمون الغيب، فلا يخفي شأنه على ذي بصيرة، لأنهم أعلم الناس بالناس وأعرفهم بضعف عقولهم، وعدم تحمّلهم. فلو أنّهم كانوا يتظاهرون دوماً بما منحوا من ذلك العلم لاعتقد بهم أهل الضعف أنّهم أرباب أو غير ذلك ممّا يؤول إلى الشرك، ولقد اعتقد بهم ذلك كثير من الناس من البدء حتّى اليوم، على أنّهم كانوا ينفون عنهم تلك المقدرة وذلك العلم أحياناً، وليسوا بأهل السلطة ليقموا أود الناس بالتأديب بعد الوعظ والزجر، كما سبق لأmir المؤمنين عليه السلام مع أصحاب ابن سبأ. بل كانوا غرضاً لفراغة أيامهم، وهدفاً لنبالهم، ولم يكونوا بذلك المظهر عندهم؛ فلو تظاهروا بتلك الخلّة كيف ترى يحمل الحسد أولئك الطواغيت على الفتك بهم، وهم المحسودون على ما آتاهم الله من فضله، وأي حائل يحجز عما يريدونه بهم وبأوليائهم.

وإنّهم لم يطلعوا أعداءهم ولا سواد أوليائهم على جميع ما رزقوا من ذلك الفضل، وقد لا قوا من المصائب والنوائب، والحوادث والكوارث، والوقائع والفجائع ما تسيخ منه شمس الجبال، وتشيب من هوله الرضّع، ولو لم يكونوا رزقوا ذلك الجلد والصبر على قدر ما رزقوا من الفضل لما استطاع أن يجمل - ما تحمّلوه - بشر، وهل مات أحد منهم حتف أنفه دون أن يتجرّع غصص السمّ النقيع، أو يصفح حدود الصوارم، ويعتنق قدود الرماح، هذا فوق ما يروونه من الهتك للحرّمات، وتسيير العقائل والسبّ والسلب؛ والغصب للحقوق والتلاعب بالدين، وتضييع أحكام الشريعة.

نعم! لا يظهر بتلك المنح الإلهية جميعها إلّا الإمام المنتظر (عجل الله فرجه)، لأنّه لا يخشى ذلك التسرب إلى ضعاف البصائر، لو صارع بما وهب من الفضل، لقدرته على الردع والتأديب، ولا يخاف حسد حاسد أو سطوة ظالم، وهو صاحب السلطة

والسيف.

على أنَّ في ذيل تلك الرواية ما يفصح بتلك السعة، وينبىء عن ذلك التعميم والحضور، فإنه عليه السلام قال: «علم الكتاب والله كلُّه عندنا، علم الكتاب والله كلُّه عندنا»^(١) والكتاب كما أنبأ عنه الجليل جلَّ وعلا جاء بياناً لكل شيء.

(١) أحمد بن محمد، عن محمد بن الحسن، عن عبَّاد بن سليمان عن محمَّد بن سليمان عن أبيه عن سدير قال: كنت أنا وأبو بصير ويحيى البرَّاز وداد بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباه لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عزَّ وجلَّ، لقد هممتُ بضرب جاريتي فلانة فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي؟ قال سدير: فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله، دخلتُ أنا وأبو بصير وميسر وقتلناه: جعلنا فداك سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريته ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ألم تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزَّ وجلَّ: «قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ»، قال قلت: جعلت فداك قد قرأته قال: فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: أخبرني به، قال: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر فما يكون ذلك من علم الكتاب. قال: قلت: جعلت فداك ما أقل هذا، فقال: يا سدير ما أكثر من هذا لمن ينسبه الله إلى العلم الذي أخبرك به، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عزَّ وجلَّ: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»، قال: قلت: قد قرأته جعلت فداك، قال: فمن عنده علم من الكتاب أفهم أم من عنده علم الكتاب بغضه؟ قلت: لا، بل من عنده علم الكتاب كلُّه، قال: فأومى بيده إلى صدره

الجواب عن الثاني

أما الجواب عن الطائفة الثانية التي صرّحت بوقوع السهو من النبي ﷺ ومن الأئمة المعصومين عليهم السلام من الجهة الفقهية، فمعارضة بالأخبار الخاصة. فأما أن تحمل على التقية أو تطرح لضعفها سنداً ومتناً عن مقاومة ما دلّ على نفي السهو والنسيان من النبي والإمام، ولعدم العامل بها صريحاً غير الصدوق في فقيهه.

وأما من جهة أصول الدين، فلا يمكن العمل بالأخبار حتى لو صحت سنداً واتضحت دلالة إذ ليس المعتبر إلا حكم العقل، والعقل يمنع من صدور أمثال ذلك عن المعصوم المقتدى، وإنّ صدور أمثال ذلك لا يوافق مقام النبوة ومنزلة الإمامة بل هو حطّ من تلك الكرامة، ونقص من ذلك المنصب الإلهي.

ولو أردنا أن نجاري الخصم في جواز ذلك منهم فقهاً وعقلاً، فالأدلة الخاصة تأبى من اتصافهم بما تحملته هذه الأحاديث، وكفى منها ما سبق من تلك الطوائف سوى الأخبار التي نفت خصوص السهو والنسيان عنهم، وإنّ الطبع يمج تلك النسب ويأبى عن قبول هاتيك الدعوى فضلاً عن إباء العقل والفقه لها.

الجواب عن الثالث

وأما الجواب عن هذه الطائفة، فيعلم من الجواب عن الثانية، وأما كون نوم النبي ﷺ رحمة للناس لئلا يعيروا بنومهم بعد طلوع الشمس، فتعليل غريب. نعم! هو أنسب بالحزاة بنومه عن الصلاة.

وهل اللائق بمثل تلك المنزلة الجليلة والمقام الرباني، وبمن تنام عينه ولا ينام

→ قال: وعلم الكتاب والله كلّه عندنا، علم الكتاب والله كلّه عندنا.

(أصول الكافي: كتاب الحجّة باب نادر فيه ذكر الغيب، ح ٣، بحار الأنوار: ج ١٦ ص ١٩٧).

قلبه، وبمن لا تغمض عينه إلا خلصة، أن ينام عن الفريضة، حتى يوقظه حر الشمس؟ ولو ارتكبه أقل أرباب العبادة والتهجد لكان عاراً وحزاة. فكيف بسيد الأنبياء؟

وهل إنحصر رفع التعيير عن النيام إلا بنوم النبي ﷺ؟

أو ليس هذا من دفع القبيح بالأقبح؟

أفلا يكفي البيان والإعلان باللسان في دفع التعيير عمن ينام؟

الجواب عن الرابع

إن هذه الطائفة إنما صرّحت بأن علمهم موقوف على الإشاءة منهم ولكن لا دلالة فيها على أنهم لا يشاءون إلا في وقت دون آخر، فأني صراحة فيها تعارض ما دلّ على أنهم يشاءون أبداً ويريدون دوماً؟ فتكون مؤيدة للعلم الحضورى على هذا البيان.

على أنه إذا كان علمهم موقوفاً على الإرادة منهم فلم لا يريدون أبداً علم الأشياء؟ ومن الذي لا يريد أن يكون علمه بأعلى مراتب الكمال، وهو بإختياره وإرادته؟ فإن الناس تريد حصول المراقي الرفيعة من الفضيلة ولا تكون إلا بالكد والجد والتعب والنصب، فكيف يمتنع أحد عن تحصيلها وهي بالرغبة والإشاءة من دون كلفة وجهاد؟ ولم لا يحصل على تلك الرتب السامية وهو يعرف ما الفضيلة، ويعلم هاتيك الدرج العلية؟

الجواب عن المؤيد الأول

استمرارهم على عدم العلم الحاضر:

أما دعوى استمرارهم في الأقوال والأعمال على عدم العلم الحاضر فشيء لا يمكن دفعه في الجملة، وعلى نحو الموجبة الجزئية، ولكن تظاهروا بالحاضر أكثر، ويشهد له في القول ما سبق من تلك الطوائف، وفي العمل ما وقع لهم من الإخبار بالملاحم والمغيبات، والأخبار عما يعلمه الناس عما سيعملونه وعن وساوس الصدور، ومناجاة النفوس، وهذا شيء أصبح من الجلاء والظهور بحيث يعد البرهان عليه فضولاً، والإستشهاد له يكون هذراً، وهذه «مدينة المعاجز»، وقد ذكرت لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام من أمثال ما أشرنا إليه الجَمّ الغفير، بل وهذا «نهج البلاغة» أمام باصرتك فيه من ذكر الملاحم، والأخبار بالمغيبات الشيء الكثير.

لربما يكون تظاهروا أحياناً بعدم العلم هو من العلم الحاضر نفسه، لعلمهم بزنة عقول الناس ومقادير مداركهم، وعسى أن يكون من حضر أو سمع أو يسمع لا يأمنون عليه من الشذوذ في العقيدة، وقوله فيهم بما ليسوا فيه، فيظهرون بعدم العلم دفعاً لذلك المحذور.

أو يخشون من أعدائهم إذا بلغ مسامعهم ذلك القول أو العمل؛ فيحملهم على التنكيل بهم أو بأوليائهم. وقد أشارت كثير من تلك الأحاديث إلى أنهم لا يستطيعون أن يعلنوا بكل ما أوتوا من العلم، فإنهم قالوا: «لو كان لألستكم أوكية لحدّثنا كل أمرىء بما له وعليه»^(١).

(١) عده من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب

وقالوا: «لو وجدنا مستراحاً لقلنا والله المستعان»^(١).
 وقالوا: «إنَّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكلِّ ما يعلم»^(٢).

→ عن أبان بن عثمان، عن عبد الواحد بن المختار قال: قال أبو جعفر عليه السلام قال: لو كان لألستكم أوكية لحدّثت كلّ امرئٍ بما له وعليه.
 (أصول الكافي: كتاب الحجّة، باب أن الأئمة عليهم السلام لو ستر عليهم لأخبروا كلّ إمريٍّ بما له وعليه، ح ١).

(١) علي بن محمّد، ومحمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن القاسم بن الربيع، عن عبيد بن عبد الله بن أبي هاشم الصيرفي، عن عمرو بن مصعب عن سلمة بن محرز قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه وعلم تغيير الزمان وحدثانه إذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم ولو أسمع من لم يسمع لولّى معرضاً كأن لم يسمع، ثمّ أمسك هينئة ثمّ قال: ولو وجدنا أوعية أو مستراحاً لقلنا والله المستعان.
 (أصول الكافي: كتاب الحجّة، باب أنّه لم يجمع القرآن كلّهُ إلّا الأئمة عليهم السلام، وأنّهم يعلمون علمه كلّهُ، ح ٣).

(٢) الحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول: عن أبي جعفر محمّد بن النعمان الأحول قال: قال لي الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قد عيّر أقواماً في القرآن بالاذاعة، فقلت له: جعلت فداك، أين؟ قال: قال: قال: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّاعُوا بِهِ». ثمّ قال: المذيع علينا سرّاً كالشاهر بسيفه علينا، رحم الله عبداً سمع بمكنون علمنا، فدفعه تحت قدميه، يابن النعمان إنّني لأحدّث الرجل منكم بحديث فيتحدّث به عني، فأستحلّ بذلك لعنته والبراءة منه، فإنّ أبي كان يقول: وأيّ شيء أقفّر للعين من التقيّة، إنّ التقيّة جنة المؤمن ولولا التقيّة ما عبّد الله، وقال الله عزّ وجلّ: «لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ»، يابن النعمان إنّ

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إِنَّ هَا هُنَا عِلْمًا جَمًّا لَوْ وَجَدْتَ لَهُ حَمَلَةً»^(١). فعدم تحمّل الناس لعلومهم، والحذر من الشذوذ في المعتقد فيهم، والخوف من سطوات أهل الظلم والجور، وغير ذلك مما هم أعلم به، هو الذي دعاهم إلى ذلك لظهور أحياناً بعدم العلم الحاضر.

على أنه يمكن الجواب عن كلّ حادثة من تلك الحوادث التي وقعت منهم، ودلت على عدم العلم. فأما رفع الستر فلعله كان لاطمئنان أبي بصير وكيف يعلم بخبيثة أبي بصير حين دخل عليه ولا يعلم بما وراء الستر.

→ المذيع ليس كقاتلنا بسيفه، بل هو أعظم وزراً، بل هو أعظم وزراً. يابن النعمان، إنّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكلّ ما يعلم، لأنّه سرّ الله الذي أسره إلى جبرئيل، وأسره جبرئيل إلى محمّد عليه السلام، وأسره محمّد عليه السلام إلى علي، وأسره علي عليه السلام إلى الحسن، وأسره الحسن عليه السلام إلى الحسين، وأسره الحسين عليه السلام إلى علي، وأسره علي عليه السلام إلى محمّد، وأسره محمّد عليه السلام إلى من أسره عليه السلام، فلا تعجلوا فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرّات فأذعتموه فأخّره الله، والله ما لكم سرّ إلّا وعدّوكم به منكم. (مستدرك الوسائل: ج ١٢ ص ٢٩٠).

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: يا كميل «ما إنّ لعلماً جمّاً (واشار بيده الى صدره) لو أصبّت له جملة. بلى أصبّت لقنأ مامون عليه مُستعملاً الة الدين للدنيا ومُستظهِراً بنعم الله على عباده ويُحججه على أوليائه أو مُنقاداً لحملة الحق لا بصيرة له في امنائه ينقذ الشك في قلبه لاول غارض من شبهة الا لاذا ولا ذاك! أو منهوماً باللذة سليب القياد للشهوة أو مفرماً بالجمع والادخار ليسا من دعاة الدين في شيء، اقرب شيء شبهاً الانعام السائمة اذكلك يموت بموت حاملية» انظر نهج البلاغة كلمة ١٤٧ كلمات قصار، موسوعة الامام علي بن أبي طالب ٧ باب المنزلة العلمية، ج ١، ص ٣٨.

وأما بقاء اللعنة، فلعلها كانت من تخيل الناظر. ورواية الصادق عليه السلام لها من ذلك الشأن الذي أشرنا إليه أو لتنبه الناظر أن ليس عليه من بأس إذا لم يخبر، وإلا كيف تبقى لعنة والغسل كان ارتماسياً، وكيف لا يستولي الماء على جميع بدن المرتمس. وأما القبيء فلعله كان مجارة للمخبر، ولو أصر الإمام على أنَّ البيضة لم تكن مما اكتسب من القمار لانهم المخبر الإمام، أو غير ذلك مما يكون من المخبر لتصديق خبره.

وبالجملة إننا لا ننكر أنهم قد يتظاهرون أحياناً بعدم العلم قولاً أو فعلاً، إلا أنَّ لذلك وجوهاً جمّة لا تخفى على البصير، فلا توجب أن تحمل تلك الأدلة الصريحة بالعلم الحاضر وتصرف عن وجهها لبعض تلك الظواهر.

الجواب عن المؤيد الثاني

إقدامهم على القتل وشرب السمّ

وأما أنّهم لا يعلمون بما يجري عليهم، ولو علموا لم يقدموا، لأنّه من الإلقاء في التهلكة، فهو ينافي صريح الأخبار عنهم في هذا الشأن وأنّهم أقدموا على علم ويقين.

فهذا الصادق عليه السلام يقول: «أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير: فليس ذلك بحجة لله على خلقه»^(١).

وهذا الكاظم عليه السلام، كيف أعلم السندي والقضاة عن سقيه السمّ وعما ستتقلب عليه حاله إلى ساعة موته.

وهذا الرضا عليه السلام. كيف أجاب السائل الذي طرأت عليه الأوهام والشكوك في حادثة أمير المؤمنين عليه السلام. حين قال له: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله واللييلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه. وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار: «صوائح تتبعها نوائح» وقول أمّ كلثوم: «لو صليت اللييلة داخل الدار، وأمرت غيرك أن يصلي بالناس؟» فأبى عليها، وكثرة دخوله وخروجه تلك اللييلة بلا سلاح، وقد عرف عليه السلام أنّ ابن ملجم قاتله بالسيف، كان هذا يجوز أو يحل تعرضه؟ فقال الرضا عليه السلام: «ذلك كان كلّه، ولكنّه خير تلك اللييلة، لتمضي مقادير الله عزّ وجلّ»^(٢).

(١) أصول الكافي، الكتاب الحجّة، باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنّهم لا يموتون إلّا باختيار منهم، ح ١.

(٢) أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمة يعلمون متى يموتون، وأنّهم لا يموتون إلّا باختيار، ح ٤.

وهكذا كان الجواب منهم عليه السلام عن شأن حادثة الحسين عليه السلام إلى كثير من أمثال هذه الأحاديث والأجوبة. ولكن أجمعها لرفع هاتيك الشبه، وأصرحها في الغرض خبر ضريس الكناسي، فإنه قال: سمعت أبا جعفر يقول وعنده أناس من أصحابه: «عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمةً ويصفون أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يكسرون حجتهم، ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم، فينقصونا حقًا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده، ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض، ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم». فقال له حمران: جعلت فداك أرايت ما كان من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليه السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عزّ ذكره وما أصيبوا من قتل الطواغيت إيتاهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا؟

فقال أبو جعفر عليه السلام: «يا حمرا إنّ الله تبارك وتعالى قد كان قدّر ذلك عليهم وقضاة وأمضاء وحثمه على سبيل الإختيار»، «وفي نسخة الإختبار»، ثمّ أجراه، فبتقدّم علم إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين، ويعلم صمت من صمت ممّا. ولو أنّهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل من أمر الله عزّ وجلّ، وإظهار الطواغيت عليهم، سألوا الله عزّ وجلّ أن يدفع عنهم ذلك، وألحوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذا لأجابههم ودفع ذلك عنهم، ثمّ كان انقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم انقطع فتبدّد، وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لذنب اقترفوه، ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها، ولكن لمتاز وكرامة من الله أراد أن يبلغوها، فلا تذهبن بك المذاهب فيهم^(١).

(١) أصول الكافي، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنّه لا

وحقاً ألا تذهب بالعارف البصير المذاهب يمنةً ويسرة، بعد هذا البيان الجلّي والحجة الناصعة، على أنّ في حجج العقل السابقة، كفاية وقناعة، كيف والأحاديث عنهم في أمثال هذا حجة لا تحصى وكثيرة لا تستقصى.

الجواب عن المؤيد الثالث

الغلوّ

ليس كلّما يستعظمه المرء يكون غلوّاً، وكلّما يستكبره الإنسان يكون خروجاً عن الحدّ الأوسط، وإفراطاً في الاعتقاد.

إنّ الغلوّ إنّما يكون فيما إذا استلزم القول والاعتقاد فيهم إخراجهم عن ناموس البشر، وجعلهم أرباباً، أو شركاء للخالق الرازق سبحانه في خلق أو رزق، أو ما سواهما ممّا اختص به الله جلّ شأنه. ومهماً اعتقدنا فيهم من سعة العلم، أو ما سوى ذلك من الصفات الغالية، فلا نعتقد فيهم إلا أنّهم بشر مخلوقون مربوبون مرزوقون على سنن سائر البشر.

وأما الاعتقاد فيهم أنّ الله منحهم مواهب جليّة، وصفات نبيلة، لا يبلغ مداها ولا يُعرف كنهها، فليس من الغلوّ في شيء، إذ لا يلزم من ذلك خروجهم عن البشريّة، أو مشاركتهم لله سبحانه في شيء من صفاته الخاصّة.

ومهما اعتقدنا فيهم من شيء فلا نبلغ فيه مراقيهم القدسيّة الرفيعة ولو لم يعلموا إنّنا لا نصل إلى تلك الرتب السامية التي يعرفونها لأنفسهم، لما قالوا لنا: «نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم»^(١) لعلمهم بأننا مهما سبق لنا فيهم من قول

→ يخفى عليهم ﷺ، ح ٤.

(١) ولا يخفى أنه أراد الاستشهاد بمعنى الرواية الفظها والفظها: قال أمير المؤمنين عليه السلام

وكان دون القول في الله الخالق تعالى، فلا يكون خروجاً عن مستواهم وغلواً فيهم.

→ (إياكم والغلو فينا، قولوا: عبید مربوبون وقولوا في فضلنا ما شئتم). الخصال: ٦١٤ / ١٠. وتحف العقول عن آل الرسول ﷺ ابن شعبة الحراني: ١٠٤ المطبعة الحيدرية - النصف الأشرف ط ٥ وغرر الحكم: ٢٧٤٠.

المؤيدات لعلمهم الحضورى

ثم إنَّ هناك مؤيِّدات للقول بحضور علمهم وصحَّة الجمع بين أدلَّة الجانبين،
وتأويل النافي منهما، على نحو ما سبق، وهي أمور جمعة نستطرد شيئاً منها.

الأول:

علمهم منَّة منه وهي تقضي بالحضوري

إنَّ ممَّا امتنَّ به سبحانه على النَّبي وأهل بيته عليهم السلام، العلم سوى ما منحهم به من
سائر الصفات الكمالية، والفضائل العظيمة، وإنَّ مقتضى الإمتنان والمنحة من ذلك
القادر الذي لا يعجزه شيء أن يكون علمهم حضورياً، وتقييده بالإشارة والإرادة
خلاف التعميم بالمنة، ولأَي شيء لا تكون منته عليهم على قدر ما كانوا عليه من
الملكات القدسيَّة، وعلى قدر تفضُّله وألطفه... أفهل تحد قدرته ولطفه وفضله.

الثاني:

إنَّ سائر صفاتهم غير مقيدة

إنَّ الله جلَّ لطفه منح النَّبي وأوصيائه عليهم السلام بصفات جليلة ومواهب سنية لا
تجارى ولا تبارى، ولم يجعل لتلك الخصال الجمَّة حدًّا ولا قيداً، ولم يحصرها على
دائرة، ولم يقصرها على زمن. فلأَي وجه إذاً نقصر علمهم دونها. ونحصره في دائرة
خاصة سواها؟ فلو كان استعظام علمهم واستكبار شأنه، حداً ببعض الناس إلى

تضييق دائرته ضيقاً منهم، وعدم تحمل منهم لتلك السعة، فلم لا يكون ذلك أيضاً حاملاً لهم على تحديد سائر صفاتهم، وتضييق خصالهم.

الثالث:

الحضوري أبعد عن عصيان الناس وأقرب إلى طاعتهم

إنَّ الناس لو علموا بأنَّ الإمام يعلم سرهم ونجواهم، وما يقتربون من عصيان؛ ويأتون من طاعة، وأنَّه يستطيع على إخبارهم بالشأن، وردعهم عن الموبقات إذا أصابوها، وحثهم على ازدياد الطاعات إذا ارتكبوها، لكان ذلك أبعد عن عصيانهم، وأقرب منهم إلى الطاعة.

الرابع:

حاجة الناس إلى عالم حاضر العلم

إنَّ الناس في حاجة إلى عالم يكشف لهم عما يعلمون ليقربهم إلى الطاعة، ويبعدهم عن المعصية. ولما كان النبي وأوصياؤه أهلاً لأن يمنحهم الجليل تعالى بتلك الكرامة، والناس في حاجة لها، فلا شيء لا يفيض عليهم ذلك الغمر، مع عدم المفسدة في ذلك الفيض، بل ووجود المصلحة به...؟

الخامس:

الحضوري ممكن وقام الدليل عليه

لا ريب في أنَّه من الممكن أن يكون علمهم حضورياً، إذ لا دليل يدل على إمتناعه. فأَيُّ مانع من الذهاب إليه والزمع به، وقد قامت البراهين المتضافرة، والحجج المتكاثرة، على صدوره ووقوعه، على ذلك النحو من الحضور، وذلك

السمت من الحصول، فإن ركني الوجوب في القول به -وهما الإمكان والوقوع - قد وُجدا ولمسا عن يقين وخبره. فأَيّ مانع بعد أن اتَّفَق الركنان من الاعتقاد بالحضورى والمصير إليه.

السادس:

لو لم يكن علمهم حاضراً لجاز إن يوجد من هو أعلم منهم

لو قلنا بأن علمهم غير حاضر لديهم، لجاز أن يكون هناك من هو أعلم منهم بالأمر الذي يقع أو يسألون عنه. ولا يجوز أن يكون أحد أعلم من الإمام في وقته في شيء من الأشياء.

أما استلزم عدم الحضورى وجود الأعلم فأمر بديهي، وذلك لأن جزئيات الموضوعات الخارجيّة لابد وأن يكون هناك من يعرفها كبنوة زيد لعمره، أو زنا خالد بهند. فلو سئل الإمام عنها، وكان غير عالم بها واتفق وجود العالم بها، فقد وجد حينئذ في الناس الأعلم من الإمام، ولو في الموضوعات الخارجيّة.

السابع:

جهلهم يستلزم السهو والنسيان وغيرهما أحياناً

إننا لو قلنا بأنهم لا يعلمون بالموضوعات الصرفة، لجاز عليهم السهو والنسيان فيها، بل لوقع منها قطعاً، بل لجاز عليهم أيضاً حرمان المستحق وإعطاء من لا يستحق، بل لكثير منهم الخطأ في الشؤون الخارجيّة، وتفويت الواقع أحياناً، لأن هذه شؤون لازمة للجهل لا محالة، ولا ينفك عنها البشر. وأي منقصة أكبر من ذلك للأمام، وهو المنزّه عن النقائص.

ولو كان ذلك واقعاً منهم، لحكي ونقل على طول الزمن وكثرة الأئمة، وللزم من

حدوث هاتيك الأمور منهم المفاصد الكثيرة، واختلال بعض النظام، إلى ما لا يحصى من النقائص والمفاصد، لوجؤزنا على الإمام الجهل.

الثامن:

جهلهم يستلزم الحاجة للناس

لا شك في أنهم يكونون محتاجين إلى الناس في معرفة الموضوعات الصرفة لو قلنا بأنهم غير عالمين بها، لاحتياج الجاهل إلى العالم فيها بجهل، وكيف يحتاجون إلى تعليم أحد، وهم في غنى عن البشر في العلم، وكيف يكون حجة على من هو أعلم منه، وعلى من هو معلمه. فهو مع استلزام وجود الأعلم، واحتياجه إلى المعلم سقوط حجته عليها، ولا بد أن يكون الإمام الحجة على كل أحد، وقوله الفصل في كل شيء. وهذا لا يجامع الجهل.

التاسع:

جهلهم يستلزم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر

إن للجهل لوازم كثيرة، وفوق ما سبق، نجد أنهم لابد أن يقع منهم ما يخالف الواقع من إرتكاب المنكر، وترك المعروف فيجب عندئذ إذا صدر هذا منهم أن يؤمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر. وأي إمام من يجب أن يؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر.

العاشر:

الجهل لازمه فعل ما يجب معه القصاص

وهذا أيضاً من لوازم الجهل، إذ يجوز عليهم الخطأ في الأقوال والأعمال مع

الناس. فلو كان الإمام مبسوط اليد وضرب من لا يستحقّ الضرب، أو اقتصّ ممّن لا يجب عليه القصاص، لوجب أن يطيع للاقتصاص منه، وكيف يكون إمام وللناس أن يقتصوا منه؛ ويكون لهم عليه حق في ماله أو بدنه.

وهذا بعض المؤيدات للعلم الحضورى واستلزام الجهل بالموضوعات الصرفة، من اللوازم التي ينزه عنها الإمام.

جملة القول

وجملة القول إنّه لو لم يرد عن الأئمة الميامين، ما يشهد لعلمهم الحضورى من الأفعال والأقوال، والآثار والأخبار، لكان في حكم العقل دلالة كافية، وبرهان نير؛ فإن العقل يرى أنّ اللطيف جلّ شأنه يجب عليه أن يجعل حجة بينه وبين عباده، يقوم بتبليغ أحكامه، وبيان نظامه، وذلك الحجة جامع لجميع صفات الكمال، وعارٍ عن جميع خصال النقص، ولا يكون فيه ما يجعله عرضة للانتقاص، ومسرّحاً للتوهين ومحلاً للانتقاد. بل يجب أن يكون المنزّه عن النقائص في الخلق والخلق، ليصلح أن تقوم به الحجة، ولا تكون لأحد عليه حجة أو تطاول في فضل أو علم. وأين هذا من القول بجهلهم بالموضوعات الصرفة التي تؤول بهم إلى تلك اللوازم السيئة، والأعمال الممقوتة؟ وكيف تنفق تلك خلال اللازمة مع أغراض ذلك الحكيم اللطيف، وألطف ذلك التقدير العليم.

وكيف يأمر جلّ شأنه، باتباع من يجوز عليه الخطأ والغلط، ويحذر من يخالفه من لا يؤمن عثاره؟ وكيف يوجب الطاعة والتسليم لمن يسوغ سهوه ونسيانه، والفشل بجهله، ويزجر عن الإعتراض على من يخاف من سقطاته، ويخشى من هفواته...؟ أفيجوز على الحكيم أن ينصب علماً للناس من هاتيك شؤونه، وهذه صفاته؟؟.

شبهات بعض القائلين
بعدم العموم والردّ عليها

هناك بعض الشبهات لبعض الأعلام، دعته إلى القول بعدم التعميم لعلمهم وعدم الحضورية له في الجميع، أحببنا سطرها، وبيان ما فيها، لئلا تبقى شبهة في المقام لم نقم بدفعها، وإبداء الملاحظة عليها.

الشبهة الأولى:

سهو النبي رحمة للأمة

علّل الشيخ الصدوق (طاب نراه) في فقيهه في كتاب الصلاة «باب السهو»^(١) بأن سهو النبي ﷺ ليس كسهوينا من الشيطان، بل هو إسهاء من الرحمن، لمصلحة الترخّم على الأمة، لئلا يعيّر المسلم الساهي والناثم عن صلاته؛ ولئلا يتوهّم فيه الربوبية، وليعلم الناس حكم السهو متى سهواً.

وجوابه - أولاً: بأن سهو النبي ﷺ منقصة له، ويشين عليه، ولا يدفع العار عن الناس، بما يجلب العار إلى سيّد الرسل ﷺ المنزّه عن كلّ نقص.

وثانياً: بأن المناقص في الناس كثيرة في الأخلاق والخلق، فمقتضى هذه

(١) إنّ الغلاة والمفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي ﷺ ويقولون: لو بان أن يسهو ﷺ في الصلاة لجاز أن يسهو في التبليغ لأنّ الصلاة عليه فريضة كما أنّ التبليغ عليه فريضة. (من لا يحضره الفقيه ١: ٣٠٩).

العلّة أن يجعل الله تلك المناقص فيه دفعاً للعار عن الناس فيجعله سيّء الخلق فظاً غليظاً أعرج أعور أشلّ أفتح، إلى ما سوى ذلك، حتّى لا يُعيّر أحد من الناس فيه شيء من الأخلاق السيّئة والنقصان في الخلقة.

وثالثاً: بأنّ السهو منقصة فيه ذاتيّة، ولا يتدارك هذه المنقصة دفع العار عن الناس، لأنّ الأعمال تابعة لمصالحها ومفاسدها الشخصية^(١).

ورابعاً: بأنّ رفع توهم الربوبية لا ينحصر في السهو والنوم، بل له طرق أخرى، ومن يغويه الشيطان فيوقعه في حبال هذا الزعم، فلا يمنعه دعوى السهو والنوم،

(١) ويجب في النبيّ كمال العقل وذلك ظاهر وأن يكون في غاية الذكاء والفتنة وقوّة الرأي بحيث لا يكون ضعيف الرأي متردداً في الأمور متحيراً؛ لأنّ ذلك من أعظم المنفّرات عنه، وأن لا يصحّ عليه السهو لثلاً يسهو عن بعض ما أمر بتبليغه، وأن يكون منزهاً عن دناءة الآء وعُهر الأمّهات لأنّ ذلك منفرّ عنه.

(كتاب كشف المراد في تجريد الاعتقاد، باب في وجوب العصمة).
عدّة من أصحابنا، أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابه رفعه قال: قال رسول

الله ﷺ:

ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتّى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمّته، وما يضر النبيّ في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أذى العبد فرائض الله حتّى عقل عنه ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولوا الألباب الذين قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

(أصول الكافي: كتاب العقل والجهل، ح ١١).

كما أنّه ما منع من قال بهذه المقالة نسبة السهو والنوم إليه ﷺ. وأما معرفة حكم السهو من فعله فالبيان فيها أفصح، والتعليم بها أوضح، وبه غنى عن فعله، ولربما لا يُغني عن البيان في اللفظ.

الشبهة الثانية:

التفصيل بين سهو النوم وغيره، فيجوز في الأوّل دون الثاني

حكى عن الشيخ المفيد (أعلى الله مقامه) في الردّ على الصدوق في كلامه السالط التفصيل بين السهو في العبادة الناشئ عن غلبة النوم حتّى يخرج الوقت فيقضئها بعده، فيجوز عليه، وبين السهو الناشئ عن غير النوم، فلا يجوز معللاً ذلك بأنّه نقص عن الكمال الإنساني وعيب يمكن التحرز عنه، وهذا بخلاف النوم، لأنّه ليس بنقص ولا عيب، إذ لا ينفك عنه بشر^(١).

وجوابه: بأنّ الفرق بين السهوين - إن كان النقص والعيب - فهو جارٍ في السهوين، لأنّ النوم عن الصلاة المفروضة، والسهو في الصلاة الواجبة: نقص في الإنسان ذي الدّين والفضيلة، فكيف بسيد الرسل وإمام الأئمة؟ وإن كان النقص فإنّه مردود لمنافاة لحكم العقل وللنصوص الكثيرة الصريحة: على أنّها تعارض ما دل على أنّ الإمام تنام عينه ولا ينام قلبه، فهو إذاً كالتارك عن عمد، بعد أن كان يقظان القلب وشاعراً بالوقت.

(١) كتاب عدم سهو النبي ﷺ: تأليف الشيخ المفيد محمّد بن محمّد النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري، البغدادي، المتوفّي ٤١٣هـ.

الشبهة الثالثة:

لو كانوا يعلمون الموضوعات للزم سدّ باب معاشهم ومعاشرتهم

إنّك على حبر بما تقوم به السوق من الكذب والسرقة، وتقلب النقود المغصوبة فيه بأيدي الناس، وبوجود النجاسة الواقعيّة في الناس، وبيارتكابهم للمحرّمات، ولو كانوا حاضري العلم لسدّ عليهم باب المعاش والمعاشرة، لمخالفة الظاهر للواقع، ولوجب عليهم ردع المرتكب للمحرّمات في السرّ والعلن، أو إقصاؤهم عنهم، ولا نجدهم كانوا على هذا مع الناس في المعاش والمعاشرة.

والجواب - أولاً: إنّ معاملتهم بالإمارات الظاهرية مع الناس لا يستلزم عدم علمهم بالواقع، إذ لا يجوز أن يكون تكليفهم في العمل على الظاهر، وإن خالف ما علموه، لعدم إمكانهم أن يعلموا مع الناس بما علموا.

وثانياً: بأنهم يعملون بما يعلمون، ومن الذي أعلمنا بأنهم لا يقدرّون على العمل بالواقع؟ ولم كان باب المعاش والمعاشرة يسد عليهم، وهم بتلك القدرة التي من الله تعالى عليهم بها؟ نعم! لم تكن معاملاتهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الناس على الواقع، فعدم قدرتهم على تنفيذ الأحكام الإلهية، سوى ما كان يمت إليهم بالولاء، فإنّهم كانوا يردعونهم عن المنكرات، وإن عملوا في الخفاء، ومن سبر شيئاً من أحوال الأئمّة عليهم السلام عرف هذا الأمر... ولو كانت معاملاتهم جارية على الظاهر دون العلم، لانفق لهم الخطأ والسهو، ولانكشفت لهم المخالفة لأعمالهم، مع أنّه لم يتفق لهم ذلك طيلة أيامهم.

الشبهة الرابعة:

قبیح العلم الفعلي أحياناً بالموضوعات

لو كان علمهم بالموضوعات فعلياً دوماً، لقبیح أحياناً بعضه، كالعلم بفروج النساء حال الجماع.

وجوابه: بأن العلم بالقبيح والمنكر والمستهجن ليس بقبيح ذاتاً، وإلا لكان علم العلّام تعالى بالأُمور القبيحة قبيحاً، بل وخلقه لآلات التناسل قبيحاً، وللحيوانات النجسة العين - كالكلب والخنزير - قبيحاً.

نعم! إنّما بقبح تعلم القبيح، والإستعلام والتجسس عنه، وارتكابه ومن ثم اشتبه هذا على ذي الشبهة، فحسب أنّ العلم بالقبيح أيضاً قبيح.

الشبهة الخامسة:

الأصل عدم علمهم الفعلي

إنّ علمهم كوجودهم حادث ومسبوق بالعدم، فالأصل بقاؤه على ما كان، وإنّما خرج عن الأصل ما يتيقن بالدليل، وهو ما كان بالإشاعة.

وجوابه: بأنّ المدار على هذا العرض على أفاده الدليل، وقد سبق أنّ الدليل عقلاً ونقلًا شاهد على فعلية علمهم وحضوره، على أنّ مثل هذه الأصول مقطوع استمرارها للقطع بحدوث علم لهم، كما انقطع أصل الوجود بحدوث الوجود.

الشبهة السادسة:

لو كان علمهم حاضراً للغى نزول جبرائيل

إنّ نزول جبرائيل بالوحي والآيات، وإخباره بالحوادث والكائنات، دليل

قطعي على عدم فعلية علم النبي. إذ لو كان فعلياً لما احتاج إلى مجيء جبرائيل، وغشيانه بالوحي، وإعلامه بالحوادث، ويؤيده قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾^(١) فإن نزول الملائكة والروح على النبي أو على الإمام بعده في ليلة القدر وإتيانهم بكل أمر يحدث في تلك السنة، شاهد لعدم علمهم بما تأتي به الأيام، لولا تنزل الملائكة والروح.

وجوابه - أولاً: بأن لعلمهم الحاضر منابع يستقون من فرائدها، وموارد ينتهلون من معينها؛ ومن تلك المنابع والموارد غشيان الملائكة عليهم بالوحي والإعلام بالحوادث، وهذا لا ينافي أن يكون علمهم حاضراً ولحضوره أسباب ودواع.

وثانياً: بأن إنزال الملائكة وجبرائيل والروح بالآيات والحداثات، إنما هو لإقامة الحجة وتأييد الدعوة، ومن ثم كان تعدد الأنبياء على الأمم بل وتعدددهم في الوقت الواحد، كما كان لكل واحد منهم آيات عديدة ودلائل أكيدة، تقوم على صدق دعواه، ومن تلك الحجج المقامة على العباد إشهادة تعالى عليهم بجعل الحفظ والكرايم الكاتبين وتسجيلهم كل عمل وقول، مع أنه جل شأنه هو الحفيظ الرقيب والشاهد غير الغائب.

ولو أخذنا بما يدعيه الخصم للغي كل هذه البينات، وبطل كل هذه الآيات والحجج والبراهين.

وثالثاً: بأن مثل هذه الحجج المقامة إنما تكون لطفاً منه بعباده، لتقريبهم إلى الطاعة وتبعيدهم عن المعصية، ولو لا ذلك لكان في العقل وإقامته حجة على العبد، كفاية عن سواه من الدلائل المنصوبة.

ورابعاً: بأن هذه الدعوى مصادمة للبراهين العقلية والشواهد النقلية، ولا نرفع

اليد عن صريح تينك الحجتين، بمجرّد الاحتمال والاستبعاد، ولو جهلنا الحكمة في إنزال جبرائيل بالوحي لتأولناه بصريح العقل والنقل.
وهذه أقوى الشبه التي أوردوها لدفع العلم الحاضر وأقاموها لتأييد زعمهم بأنّه موقوف على الإشاءة، وقد عرفت الجواب عنها والدفع لها.

زبدة المخض

إنّ البرهان العقلي دل - نظراً لحاجة الناس الماسة إلى وجود الهادي بين ظهرائهم، والمصلح لشؤونهم، والحاكم بالعدل بينهم، إلى ما سوى هذا ممّا يتطلّبه صالح أمورهم في الدارين -:

على أنّ الله تعالى يجب عليه لطفاً بعباده أن يجعل فيهم - وقد جعل - من يكون العالم بالكائنات كافّة، والعلوم والفنون، والمتحلّي بأبراد الكمال كلّها، حتّى يكون الفرد الأوحّد في عصرة، الصالح للنهضة بالإرشاد والهداية للعالم، والمضطلع بهذا العبء الباهض، حتّى لو كانت له الهيمنة على الكرة الأرضيّة برمتها، لاستطاع أن يدير شؤونها أحسن إدارة، ويدبر أمورها أجمل تدبير كما يقوى على خصم كلّ محتاج بالقوّة البيانيّة والآيات الفعلية، ويستطيع الجواب عن مسألة كلّ سائل بالكشف عن الحقيقة، وإماطة الستار عن الواقع، ليكون حقاً هو الحجّة البالغة من الخالق على الخلق والهادي لهم بعد ذلك الرسول المنذر.

وإنّ النقل قد عاضد هذا البرهان العقلي، وفصل مجمله، وأبان غامضه حتّى لا يبقّي لذي وهم ريب، ولذي مسكة عذر، في الاعتقاد بوجوب وجود ذلك الهادي في الأمة.

وقد جاءت الأفعال والأقوال ممن تجلبب بتلك الصفات الكريمة. وفقاً لتينك الدالّتين من العقل والنقل، حتّى يتضح للعالم أجمع أنّ من يجب أن يوجد لطفاً منه

تعالى بعباده متحلياً بهاتيك الخصال الجميلة والهبات القدسية، قد أصبح والوجود مفاض عليه، بحيث لو فحص عنه طالب الحق لوجده شخصاً مرئياً وقالباً حسياً، لا يحيد عن تلك المزايا الجليلة قيد شعرة.

ولو قام ما يخال بأنه برهان على أن ليس في البشر ممن يجمع هذه الخصال، ويتقصد بهذه الصفات، أو أنها ليست بتلك السعة المزعومة. أو العلم منها خاصة، فهو مردود مرفوض، لمخالفته لجهتي العقل والنقل، بل وللوجدان: من فعل الإمام وقوله... فهل بعد هذه الحجج النيرة يصغى إلى شبهة، أو يلتفت إلى زعم...».

وقعود الناس عن معرفة تلك الحجّة البالغة، وسكوتهم عن طلب ذلك الإمام الهادي أو سلوكهم في غير سبيله، بعد سطوع نهجه، ووضوح أمره، لا ينقص من شأنه ولا يحط من كرامته، ولا يبطل حجّته، ولا يفسد المصلحة التي من أجلها أختير وجعل إماماً، ومن جرائها اصطفي وانتخب.

وعدم إظهاره أو تظاهره بذلك العلم المخزون والفيض الغمر أحياناً. حذراً من عدم قبوله أو عدم احتماله، أو خشية من العدو الحاسد وبطشه أو خوفاً من غلوّ الناس وإفراطهم في الدعوة لا يكون ذلك شاهداً على عدم الوجدان لذلك العلم أو عدم سعته، وما تحمل الإمام للمصائب والنوائب، وهو القدير على دفع ما مني به، ورفع ما نزل بساحته، إلا لتؤكد الحجّة على الخلق مع ما له من الحجج البالغة، وإلا لدفع أوهام الغلاة، ومزاعم المفرطين في الحب، الذين يخرجون الإمام عن مستوى البشر، ويلبسونه أبراد الأولوهية.

وقد كشف عن هذه الغامضة السفير الجليل الحسين بن روح عليه الرحمة وقد سأله سائل قائلاً له: أخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام أهو ولي الله؟ قال: نعم. قال الرجل: أخبرني عن قاتله لعنة الله أهو عدو الله؟ قال: نعم. قال الرجل: فهل يجوز أن يسلب الله تعالى عدوّه على وليّه.

فقال له ابن روح: إفهم عني ما أقول لك، إعلم أنّ الله تعالى لا يخاطب الناس بمشاهدة العيان، ولا يشافهمهم بالكلام، ولكنه جلّ جلاله يبعث إليهم رسلاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم، ولو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم، لنفروا عنهم، ولم يقبلوا منهم، فلمّا جاءهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق، قالوا لهم: أنتم بشر مثلنا لا نقبل منكم حتّى تأتونا بشيء نعجز أن تأتي بمثله، فنعلم أنكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر عليه. فجعل الله عزّ وجلّ لهم المعجزات التي تعجز الخلق عنها: فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار، ففرق جميع من طغى وتمرد ومنهم من القى في النار، فكانت عليه برداً وسلاماً، ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقة، وأجرى من ضرعها اللبن، ومنهم من فلق البحر وفجّر له من الحجر العيون، وجعل له العصى اليابسة ثعباناً تلقف ما يأفكون، ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله، وأنبأهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، ومنهم من انشقّ له القمر وكلمته البهائم مثل البعير والذئب وغير ذلك. فلما أتوا بمثل ذلك، وعجز الخلق من أمهم عن أن يأتوا بمثله. كان من تقدير الله تعالى ولطفه بعباده وحكمته، أن جعل الأنبياء ﷺ مع هذه المعجزات في حال غالبين وفي حال مغلوبين، وفي حال قاهرين وفي حال مقهورين، ولو جعلهم الله تعالى في جميع أحوالهم غالبين وقاهرين، ولم يبتلهم ولم يمتحنهم، لآخذهم الناس آلهة من دون الله تعالى، ولما عرف فضل صبرهم على البلاء والمحن والإختبار. ولكنه تعالى جعل أحوالهم في ذلك كأحوال غيرهم ليكونوا في حال المحنة والبلوى صابرين، وفي حال العافية والظهور على الأعداء شاكرين، وليكونوا في جميع أحوالهم متواضعين غير شامخين ولا متجبرين، وليعلم العباد بأنّ لهم إلهاً هو خالقهم ومدبرهم، فيعبده ويطيعوا رسله وتكون حجة الله ثابتة على من تجاوز الحدّ فيهم، وادّعى الربوبية لهم، أو عاند وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء

والرسل ﷺ، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة.

قال محدث هذا الحديث «محمد بن إبراهيم بن إسحاق»: فعدت إلى ابن روح من الغد، وأنا أقول في نفسي: «أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟ فابتدرني فقال لي: يا محمد لئن أخر من السماء فتخطفني الطير، أو تهوي بي الريح في مكان سحيق، أحب إلى من أن أقول في دين الله تعالى برأيي ومن عند نفسي، بل ذلك عن الأصل، مسموع عن الحجة ﷺ»^(١).

وهل بعد هذا البيان من عذر أو حجة لمن يزعم بأنهم لا يعلمون على ما يقدمون، وأن دائرة علمهم ضيقة لا تحيط بالحوادث، ولعمر الحق إن القول بحضور علمهم لا يحتاج إلى كل هذه الحجج والبراهين، بل إن البعض ممّا سلف كافٍ في الإيضاح عنه والكشف عن نقابه وإزاحة الشبهة فيه غير أن وفور الأدلة دعائاً إلى استطراد البعض منها وإن أغنى النزر منها.

(١) إكمال الدين وإتمام النعمة: باب ذكر التوقيعات الواردة عن القائم ﷺ، ح ٣٧.

علم الإمام يجب الاعتقاد به

لما كان نصب الإمام واجباً على الله جلَّ شأنه من باب اللطف، وكانت معرفته بعد وجوب واجبة أيضاً عقلاً ونقلاً، كانت تلك المعرفة له يجب أن تكون بشخصه وكافة صفاته، بحكم العقل وصراحة النقل.

فإذا وجب هذا كله، وجب أن يكون الإمام أفضل الناس في جميع الصفات الحميدة، وإذا وجب هذا أيضاً وجب أن يعتقد من يقول الإمام بأنَّ الإمام جامع لصفات الفضل ممتازاً بها على العالم بأسره.

ومن تلك الصفات «العلم» وهذا ممَّا لا ينبغي الريب فيه، كما أنَّ البحث في تفصيل هذه الأمور المذكور في كتب الكلام، في أبواب الإمامة، فلا يلزم ذكرها هنا؛ وإنَّما الذي يلزم البحث عنه في هذا المقام أمران:

الأوَّل: هو أنَّ علم الإمام - بعد وجوب الاعتقاد به - هل يجب على نحو التفصيل أو يكفي الإجمال.

الثاني: إنَّ هذا الاعتقاد ضروري، بحيث يكون من لا يعتقد ذلك منكراً لضروري من الضروريات في الدين. أو ليس الأمر كذلك؟

أما الأوَّل: فلم نجد دليلاً يرشدنا إلى وجوب الاعتقاد تفصيلاً. نعم أقصى ما يدل عليه العقل، هو أنَّ الإمام يجب أن يكون أعلم الناس فإذا وجب هذا، وجب على القائل بالإمامة الاعتقاد بذلك، لأنَّه من شؤون الإمامة ولوازمها. ومن أرشده الدليل إلى التفصيل وجب عليه الاعتقاد بما وضع لديه، لأنَّه من شؤون الإمامة عند ذلك... وكيف نستطيع أن نقول بوجوب الاعتقاد بالتفصيل مطلقاً، والمعرفة التفصيلية متعذرة لمثل النساء والأطفال، بل وعامة الناس.

أما الثاني: ففيه تفصيل، وذلك لأن مثل الصبية والنسوة، بل والسواد العام لا يتعقلون في أن علم الإمام، على نحو ما أشرنا إليه من الضرورات، وإن من يتعذر في شأنه فهم الشيء وإدراكه والوصول إلى كنهه كيف يكون اعتقاده به ضرورياً، نعم! إن ذلك إنما يتأتى في شأن الخواص وأهل العلم، ومن قام لديه الدليل على وجوب اتصاف الإمام بتلك الخصال الكريمة، فإن العلم بالنسبة إليه ضروري وإنكاره شأن إنكار الضرورات في الدين.

إن لطف الإمامة إنما هو بما يتحمّله الإمام من مسؤوليّة الهداية والإرشاد، ولا يتحمل تلك المسؤوليّة، ما لم يكن متقمّصاً بتلك الصفات الجميلة، فإنكار بعض صفاته التي بها امتيازه إنكار للطف الإمامة، فمن ثم يتضح لديك أن العلم من ضروريات الدين، وإنكاره إنكار للضروري.

فلا غرابة إذاً لو قلنا بوجوب الاعتقاد بعلم الإمام على نهج الاعتقاد بسائر صفاته، بل هو أظهرها. كما أن إنكاره للخواص وأهل المعرفة إنكار للطف الإمامة. وكيف لا يكون العلم حينئذ ضرورياً لهم خاصّة.

العلم بعض صفات الإمام وصفاته أفضل الصفات

إنَّ علم الإمام بعض صفاته القدسيّة، التي يجب أن يتّصف بها الحجّة البالغة، ومنار الهدى والرشاد للعالم بأسره.

ولابدّ أن يكون الإمام في كلّ صفة نبيلة أفضل أهل عصره، فإنّه لو كان في الناس من هو أفضل منه، ولو في بعض الصفات، لما صح أن يكون حجّة على الأفضل، بل ولا المساوي، وما وجبت طاعته على الناس واستماعهم له، إلّا لتقصه بجلباب الدعوة إليه تعالى، وإرشاده للناس إلى طاعته، وكفهم عن عصيانه، ولا يكون كذلك إلّا وهو خير الناس في الناس، ولو كان في الناس مثله أو أفضل منه، ولو من بعض النواحي، لكانت إمامته خاصة ترجيحاً بلا مرجح.

ولا يخفى على ذي بصيرة بأنّ الإحاطة بحقيقة الإمامة، وسبر غورها، ومعرفتها كمعرفة سائر الأمور؛ شيء غير مطاق لنا، لأنّ الإمامة والنبوة مظهر لصفات الله تعالى، ومثال لكمالات الخالق سبحانه و من يحيط خبراً بكماله العظيم وصفاته القدسيّة.

الإمام والإمامة

إِنَّ لأبي الحسن الرضا عليه السلام كلاماً في الإفصاح عن مقام الإمامة والإمام، والإشادة إلى بعض فوائدهما ووظائفهما، مما ينبئنا عن قصورنا عن إدراك هذه المنزلة، والإحاطة بتلك الحقيقة، وقد تكلم به عندما خاص الناس في الإمامة بمرور في الجامع يوم الجمعة، وقد حكى له ذلك.

ولما كان كلام الإمام هذا دخیلاً من بعض الجهات فيما نحن فيه من البحث، أردنا أن نلتقط من عقود بعض اللآلئ الكريمة، لتكون مسك الختام.

قال عليه السلام:

«إِنَّ الإمامة أَجَلٌ قَدْرًا، وَأَعْظَمُ شَأْنًا، وَأَعْلَى مَكَانًا، وَأَمْنَعُ جَانِبًا، وَأَبْعَدُ غَوْرًا، مَنْ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسُ بِعُقُولِهِمْ، أَوْ يَنَالُوهَا بِأَرَائِهِمْ، أَوْ يَقِيمُوا إِمَامًا بِاخْتِيَارِهِمْ».

وقال عليه السلام:

«إِنَّ الإمامة منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء، إِنَّ الإمامة خلافة الله تعالى، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله».

«إِنَّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين».

«إِنَّ الإمامة أَسَ الإسلام النامي، وفرعه السامي. بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفيء والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف».

«الإمام يحلل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحبّة البالغة».

«الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم، وهي في الأفق بحيث لا

تنالها الأيدي والأبصار».

«الإمام البدر المنير، والسراج الزاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز^(١) البلدان والقفار ولجج البحار».

«الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى، والمنجى من الردى».

«الإمام النار على اليفاع^(٢)، الحار لمن اصطلى به^(٣)، والدليل في المهالك،

من فارقه فهالك».

«الإمام السحاب الماطر، والغيث الهاطل، والشمس المضيئة؛ والسماء

الضليلة، والأرض البسيطة، والعين الغزيرة، والغدير والروضة».

«الإمام الأنيس الرفيق، والوالد الشفيق، والأخ الشفيق، والأم البرة بالوالد

الصغير، ومفرع العباد في الداهية النآد^(٤) أمين الله في خلقه، وحجته على عباده،

وخليفته في بلاده، والداعي إلى الله والذاب عن حرم الله».

«الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم

والموسوم بالحلم، نظام الدين، وعزّ المسلمين، وغيض المنافقين وبوار الكافرين».

«الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بدل، ولا له

مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب ولا اكتساب، بل اختصاص من

المفضل الوهاب».

«فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام، أو يمكنه اختياره؟ هيهات هيهات! ضلّت

(١) الأجواز جمع جوز: وسط الشيء ومعظمه.

(٢) اليفاع: ما ارتفع من الأرض.

(٣) لعلّه كناية عن احتراق من يريد السوء به أو العداء له الشديدة.

(٤) الناد كسحاب: الداهية، ولعلّ المستفاد من تكرار المعنى الشدة إذاً الداهية الشديدة.

العقول، وتاهت الحلوم، وحارت الأبواب، وخسئت العيون، وتضاغرت العظماء، وتحيرت الحكماء، وتقاصرت الحلماء، وحصرت الخطباء، وجهلت الألباء^(١) وكلت الشعراء، وعجزت الأدباء، وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، أو فضيلة من فضائله، وأقرت بالعجز والتقصير».

«وكيف يوصف بكله، أو ينعت بكنهه، أو يفهم شيء من أمره، أو يوجد من يقوم مقامه، ويغني غناه؟

لا وكيف وأني. وهو بحيث النجم من يد المتناولين، ووصف الواصفين، فأين الاختيار من هذا؟

وأين العقول عن هذا؟

وأين يوجد مثل هذا؟

أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول ﷺ؟

ثم قال عليه السلام:

«وكيف لهم باختيار الإمام؟ والإمام عالم لا يجهل، وداع لا ينكل معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة».

إلى أن يقول عليه السلام:

«..نامي العلم، كامل الحلم، مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة، مفروض

الطاعة، قائم بأمر الله عز وجل، ناصح لعباد الله، حافظ لدين الله».

ثم قال عليه السلام:

«إنَّ العبد إذا اختاره الله عز وجل لأمر عباده شرح صدره لذلك، وأودع قلبه

يتابع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يعي بعده بجواب، ولا يحير فيه عن

(١) الألباء جمع لبيب: العاقل.

الصواب، فهو معصومٌ مؤيَّدٌ، موفَّقٌ مُسدَّدٌ، قد أَمِنَ من الخطأ والزلل والعِثَارِ، يَخْصُهُ بذلك ليكون حَجَّتَهُ على عبادِهِ، وشاهدَهُ على خلقِهِ، وذلك فضل الله يؤتِيهِ مَنْ يَشَاءُ والله ذو الفضل العظيم، فهل يقدرُونَ على مثل هذا فيختارونَهُ؟ أو يكون مختارَهُم بهذه الصفة فيقدِّمونَهُ^(١).

هذه لؤلؤة مَازَنَانَا به جَيِّدَ الدهر من البيان عن مقام الإمامة والإمام، ولم نضع هذه الرسالة الوجيزة للكلام عن الإمام حتَّى نستوفي النقل لتلك الآيات البَيِّنَات التي أفصحوا بها عن الإمامة وصرحوا بها عن شأن الإمام، أو نشرح هذه اللؤلؤة الغالية الجديرة بالشرح والحقيقة بالإعجاب.

وإنَّما الغرض الأقصى - كما يرمز إليه عنوان الرسالة - هو البت في علم الإمام وأَنَّهُ حضوري - أو موقوف على الامشاء والإرادة منه. وما كان الخوض منا في هذا البحر الزاخر إلَّا على قدر ما نحسه وتصل إليه مداركنا، وتحكم به عقولنا، وتفهمه من أحاديثهم التي بين أيدينا.

وكيف تستطيع أن نحدد الإمام حقاً، ونحيط به معرفة، وما ذكر الإمام الرضا عليه السلام إلَّا بعضاً من صفاته، وما هذا القمر مما ذكره الرضا عليه السلام من شؤون الإمامة، بالنسبة إلى مداركنا، إلَّا كما قال عليه السلام: «وهو بحيث النجم من يد المتناولين»^(٢).

(١) راجع: أصول الكافي، كتاب الحجَّة، باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته، ح ١؛ بحار الأنوار ٥٦: ١٢٧؛ تحف العقول، وصفه عليه السلام الإمامة والإمام: ٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام، باب ما جاء عن الرضا في صفة الإمامة، ح ١؛ بحار الأنوار، العلَّامة المجلسي ٢٥: ١٢٥؛ الغيبة النعماني، باب ١٣، ما روي في صفته وسيرته وفعله.

وكفى برهاناً على ارتفاع ذلك المنار هذه الآية البيانية والمعجزة الكلامية التي أفصحت عن بعض شمائل الإمام وصفات الإمامة، فإنها دلالة من الإمام عن الإمامة وعلامة بينة منه عليه، بل وإمارة قائمة على بعد ذلك المنال عن أبصارنا وبصائرنا. وما معرفتنا به إلا على قدر ما نلمسه من آثاره، ونقرأه من أخباره، نسأله جل شأنه أن يعرفنا نفسه، لنعرف بذلك رسوله ﷺ، أن يعرفنا رسوله لنعرف بذلك حجته، وأن يعرفنا حجته لنهتدي لدينه ولا نضل عن سبيله، إنه خير مسؤول، وأكرم مجيب، وهو ولي التوفيق والهداية.

كان الفراغ من تسويد هذه الرسالة صباح الاثنين الثالث عشر من صفر الخير أحد شهور السنة الواحدة والستين بعد الألف. والثلاثمائة هجرية على مهاجرها أفضل الصلاة والتحية.

مصادر التحقيق والتعليق

* بعد كتاب الله المجيد.

١- أصول الكافي. المحدث الخبير ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازي. المتوفى سنة ٣٢٨/٣٢٩هـ. الناشر دار الأسوة للطباعة والنشر (التابعة لمنظمة الأوقاف والشؤون الخيرية).

٢- بصائر الدرجات الكبرى، المؤلف: للثقة الجليل والمحدث النبيل شيخ القميين أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار. المتوفى ٢٩٠هـ. تحقيق السيد محمد السيد حسين المعلم، انتشارات المكتبة الحيدرية.

٣- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تأليف الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، المتوفى سنة ١١٠٤هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.

٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الأقدم والمحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ. صححه وقدم له وعلق عليه العلامة الشيخ حسين الأعلمي ومنشورات ذوي القربى.

٥- مستدرك الوسائل، لخاتمة المحدثين الميرزا الشيخ حسين النوري الطبرسي المتوفى سنة ١٣٢٠هـ مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث.

- ٦- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ٧- من لا يحضره الفقيه تأليف المحدث الأكبر أبي جعفر الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ ط جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- ٨- عدم سهو النبي صلى الله عليه وآله تأليف الشيخ المفيد محمد بن محمد النعمان المعلم أبي عبدالله العكبري البغدادي، المتوفى ٤١٣هـ.
- ٩- كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، تأليف العلامة الحلي تحقيق وتعليق الشيخ حسن حسن زاده الأملي. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ١٠- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام محمد باقر بن محمد المجلسي (ت ١١١٠هـ. ق) بيروت: مؤسسة الوفاء ١٤٠٣هـ ق، الطبعة الثانية.
- ١١- الغيبة، تأليف الشيخ الجليل أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بـ«ابن أبي زينب النعماني» المتوفى حدود سنة ٣٦٠هـ تحقيق فارسي متون كريم، مؤسسة انتشارات مدين.
- ١٢- الأصول الستة عشر من الأصول الأوليّة مجموعة من كتب الرواية الأوليّة في عصر الأنمة المعصومين عليهم السلام، تحقيق ضياء الدين المحمودي الناشر دار الحديث للطباعة والنشر.
- ١٣- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تأليف الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني من أعلام القرن الرابع قدّم له وعلّق عليه الشيخ حسين الأعلمي منشورات أفرند.
- ١٤- المقرر في شرح منطق المظفر، تأليف السيد رائد الحيدري منشورات ذوي القربى.
- ١٥- ماضي النجف وحاضرها، تأليف جعفر باقر آل محبوبة، ط النعمان.

- ١٦- أعلام الشيعة، تأليف الشيخ آغا بزرك الطهراني.
- ١٧- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- ١٨- تهذيب الأحكام تأليف شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
- ١٩- الخصال: للشيخ الجليل الأقدم الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، المتوفى ٣٨١ هـ صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.
- ٢٠- المعجم الأصولي تأليف الشيخ محمد صنقور علي، ط منشورات الطيار.
- ٢١- معجم المؤلفين، مصنف في الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، ط النراقي بدمشق.
- ٢٢- كتاب ماضي النجف وحاضرها، تأليف الشيخ جعفر باقر آل محبوبة، ط ١ النعمان - النجف.
- ٢٣- شعراء الغري، تأليف علي الخاقاني.
- ٢٤- أعلام الشيعة، تأليف الشيخ آغا بزرك.
- ٢٥- عقائد الامامية، للشيخ محمد رضا المظفر.
- ٢٦- شعراء النجف، تأليف الاستاذ عبدالكريم الدجيلي.
- ٢٧- حق اليقين، تأليف السيد عبدالله شبر.
- ٢٨- الملل والنحل، أبو الفتح محمد الشهرستاني، دار صادر، بيروت.
- ٢٩- لسان العرب، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي.

الفهرس

٣	الإهداء
٥	المقدمة
٦	بعض فوائده:
٦	منهجية التحقيق:
٩	ترجمة الشيخ المظفر
٩	١- نسبه
١٠	٢- ولادته ووفاته
١٠	٣- أسرته
١١	٤- مشايخه في العلم
١٢	٥- آثاره العلمية
١٣	د- مقالاته
١٣	٦- الشيخ المظفر إجازة الرواية
١٤	٧- الشيخ المظفر وجمعية منتدى النشر

- ٨- الشيخ المظفر والشعر ١٥
- كتاب وجيز يبحث عن علم الإمام وكميته وكيفيتنا عن طريقي العقل والنقل .. ٢١
- مقدمة المؤلف ٢٣
- باعت التأليف ٢٣
- مقدمات أمام البحث ٢٧
- علم النبي ﷺ ٣١
- وظيفة الخليفة ٣٣
- الخلافة وأهل البيت ﷺ ٣٥
- علم الإمام الحضوري ٣٧
- من طرق العقل ٣٧
- الطريق الأول: الحضوري أنفع للأمة ٣٩
- الطريق الثاني: الحضوري أكمل في الرسالة والإمامة ٤١
- الطريق الثالث: الحضوري أسبغ في النعمة ٤١
- الطريق الرابع: الحضوري أتم في القدرة ٤٢
- الطريق الخامس: الحضوري أكمل في اللطف ٤٢
- الطريق السادس: الأولى في الإمام اختيار الأفضل ٤٣
- الطريق السابع: الحضوري أبلغ في المثالية ٤٤
- الطريق الثامن: الحضوري أبلغ في الدلالة ٤٦
- الطريق التاسع: ذو العلم الحضوري أسلم عن الإنخداع ٤٦
- الطريق العاشر: لا بد أن يكون علم السفير والشهيد حضورياً ٤٧

- ٤٧ هل هناك حكم عقلي معارض؟
- ٤٨ الجواب عن الأول
- ٤٨ الجواب عن الثاني
- ٤٩ الجواب عن الثالث
- ٥٣ البرهان النقلي على علم الإمام الحضوري
- ٥٥ ما دَلَّ من الكتاب على علمهم الحضوري
- ٥٧ ما دَلَّ من الحديث على علمهم الحضوري
- ٥٧ الطائفة الأولى: الأنمة خزنة العلم والحجة البالغة
- ٥٩ الطائفة الثانية: علمهم بما في السماء والأرض
- ٦٠ الطائفة الثالثة: إن الأنمة هم الراسخون في العلم والذين أوتوا العلم
- ٦١ الطائفة الرابعة: الأنمة معدن العلم ووارثوه
- ٦٣ الطائفة الخامسة: الأنمة ورثة علم النبي ﷺ
- ٦٥ الطائفة السادسة: إن لديهم جميع الكتب ويعرفونها على اختلاف ألسنتها
- ٦٦ الطائفة السابعة: الأنمة يعلمون الكتاب كله
- ٦٧ الطائفة الثامنة: عندهم جميع العلوم
- ٦٨ الطائفة التاسعة: يعلمون حتى بإتقلاب جناح الطائر
- ٦٨ الطائفة العاشرة: إن الأنمة الشهداء على الناس
- ٧١ منابع علمهم
- ٧٣ أولاهن: إن عندهم الاسم الأعظم
- ٧٤ ثانيهن: إن عندهم آيات الأنبياء

- ٧٥ ثالثهن: ما عندهم من الجفر والجامعة ومصحف فاطمة وما يحدث بالليل والنهار
- ٧٩ الأدلة النقلية المعارضة
- ٧٩ الكتاب
- ٧٩ ما دلّ من الكتاب على إن علمهم ليس بحاضر
- ٨١ «الجواب عنها»
- ٨٣ الأخبار النافية للأخبار الدالة على الحضور
- ٨٣ الطائفة الأولى: كانوا لا يعلمون الغيب
- ٨٤ الطائفة الثانية: سهو النبي والأنمة
- ٨٧ الطائفة الثالثة: نوم النبي عن الصلاة الصبح
- ٨٩ الطائفة الرابعة: متى شاء الإمام أن يعلم أعلمه الله تعالى
- ٩٠ المؤيدات لهذا الجمع
- ٩٠ الأول: استمرارهم عملاً وقولاً على عدم الحضور
- ٩٢ الثاني: إقدامهم على القتل وشرب السم
- ٩٢ الثالث: الغلو
- ٩٣ الجواب عن الأول
- ٩٦ الجواب عن الثاني
- ٩٦ الجواب عن الثالث
- ٩٧ الجواب عن الرابع
- ٩٨ الجواب عن المؤيد الأول
- ٩٨ استمرارهم على عدم العلم الحاضر:

- ١٠٢ الجواب عن المؤيد الثاني
- ١٠٢ إقدامهم على القتل وشرب السم
- ١٠٤ الجواب عن المؤيد الثالث
- ١٠٤ الغلو
- ١٠٧ المؤيدات لعلمهم الحضورى
- ١٠٩ الأول: علمهم منة منه وهى تقضى بالحضورى
- ١٠٩ الثانى: إن سائر صفاتهم غير مقيدة
- ١١٠ الثالث: الحضورى أبعد عن عصيان الناس وأقرب إلى طاعتهم
- ١١٠ الرابع: حاجة الناس إلى عالم حاضر العلم
- ١١٠ الخامس: الحضورى ممكن وقام الدليل عليه
- ١١١ السادس: لو لم يكن علمهم حاضراً لجاز إن يوجد من هو اعلم منهم
- ١١١ السابع: جهلهم يستلزم السهو والنسيان وغيرهما أحياناً
- ١١٢ الثامن: جهلهم يستلزم الحاجة للناس
- ١١٢ التاسع: جهلهم يستلزم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر
- ١١٢ العاشر: الجهل لازمه فعل ما يجب معه القصاص
- ١١٣ جملة القول
- ١١٥ شبهات بعض القائلين بعدم العموم والرد عليها
- ١١٧ الشبهة الأولى: سهو النبى رحمة للأمة
- ١١٩ الشبهة الثانية: التفصيل بين سهو النوم وغيره، فيجوز فى الأول دون الثانى ..
- ١٢٠ الشبهة الثالثة: لو كانوا يعلمون الموضوعات للزم سد باب معاشهم ومعاشرتهم

- الشبهة الرابعة: قبح العلم الفعلي أحياناً بالموضوعات ١٢١
- الشبهة الخامسة: الأصل عدم علمهم الفعلي ١٢١
- الشبهة السادسة: لو كان علمهم حاضراً للغى نزول جبرائيل ١٢١
- زبدة المخض ١٢٣
- علم الإمام يجب الاعتقاد به ١٢٧
- العلم ببعض صفات الإمام وصفاته أفضل الصفات ١٢٩
- الإمام والإمامة ١٣٠
- مصادر التحقيق والتعليق ١٣٥
- الفهرس ١٣٩